

السنة الرابعة والعشرون | العدد (٢٦١) | جمادى الأولى ١٤٤٧ هـ | شتاء ٢٠٢٥ م
23th Year Issue No: 261 - 2026

شركة الكفيل للاستثمارات العامة



Al Kafeel
Energy Solutions

المبيعات: 07746611071

الكادر الهندسي: 07746611070

الموقع الالكتروني:

https://alkafeelinv.com/new



الطاقة الشمسية
حل وحيد لمشاكل عديدة

باشرت ملاكات شركة الكفيل للاستثمارات العامة في العتبة العباسية، بنقل تجربتها في استخدام الطاقة الشمسية إلى مشروع العوالي الزراعي في محافظة كربلاء المقدسة. وتعد "منظومات الطاقة الشمسية من أهم مصادر الطاقة الصديقة للبيئة، لكونها خالية من الانبعاثات"، مشيراً إلى أن "المواد الخاصة بالمنظومات يتم تجهيزها من مناشئ عالمية رصينة تطابق المواصفات المطلوبة، يتم فحصها قبل تركيبها فضلاً عن المتابعة المستمرة للمنظومات بعد التركيب من قبل ملاكات متخصصة





للطلب والاستفسار:

مراسلة الصفحة أو الاتصال على

الكادر الهندسي: 07746611070

المبيعات: 07746611071

النجف الأشرف

شهرية- اجتماعية ـ ثقافية ـ عامة ـ أُسست في ٢٠ نيسان ٢٠٠٣

مجلة النخبة الثقافية العراقية

تصدر عن مؤسسة المرتضى للثقافة والإرشاد، رقم الاعتماد في نقابة الصحفيين (٤٠٠) لسنة ٢٠٠٩

العدد (٢٦١) شهر جمادى الآخرة ١٤٤٨هـ

٦ الخطاطون

أصالة الحرف وبهاء المدرسة البغدادية..

١٧ سطور

رحل طفلهم - أوس ستار الغانمي

٣٤ من الغرب

إيراسموس الروتودامي - موفق هاشم

٤٢ حديث الصورة

تناغم الحضارة الاسلامية - تحسين عمارة

٥٠ طب

الشرجي - مسلم القراغولي

٥٨ تقارير

من حوزة العلم إلى أفق المجرات

٧٠ مقالات

عدم تطوّر مجتماعتنا - علي سعدون

٧٨ قراءة في كتاب

نماذج العقل - عدنان الياسري

رئيس مجلس الإدارة: السيد محمد حسين العميدي

رئيس التحرير: ليث الموسوي مدير التحرير: غيث شُبّر

الإخراج الفني: لبنان، بيروت ـ مقداد غرافيك ـ سوسن مقداد

شروط النشر في المجلة أن لا تكون المقالة منشورة سابقًا، وأن تكون بين ٥٠٠ إلى ٤٠٠٠ كلمة، وترسل للعناوين أدناه، مع السيرة الذاتية للكاتب. المجلة غير ملزمة ببيان سبب رفض المقال.

Website: www.alnajafalashraf.net
www.alnajafalashraf.org
E.mail: najafmag@gmail.com
P.O.Box: 365
مؤسسة المرتضى للثقافة والإرشاد النجف الأشرف
حي الحسين(ع) ـ شارع البلدية

اتصل بمجلة النجف الأشرف

+ 964 780 779 0073

مجلة النجف الأشرف

جبال الشرق والغرب

جامعة أكسفورد تعد أقدم جامعة ناطقة باللغة الإنجليزية في العالم، وقدمها يعطيها عراقة متميزة بشكل خاص. وبدايتها غير الرسمية كانت تجمعات لرجال دين وطلبتهم هنا وهناك في تلك المنطقة، لكنها أصبحت جامعة واضحة المعالم بسبب ظرف استثنائي لصراع طائفي سياسي، حيث منع الانجليز من الذهاب لفرنسا، وذلك ما يوافق سنة٥٦٣هـ ثم بعدها بما يقرب مائة عام حصلت على الامتياز من البابا بشكل رسمي كامل، وما زالت إلى يومنا هذا تقدم إلى العالم بحوثا متميزة وتتسم بطابع دراسي يختلف عن باقي جامعات العالم.

هذا الشكل من التجمعات العلمية هو مدعاة للفخر، ودافع للإنجاز، ونحن إذ نتحدث عن أكسفورد نلاحظ أنّها تشبه تجربة الحوزة العلمية في النجف الأشرف كثيرا، حيث كان هناك في النجف مجموعة من طلاب العلم ورواد الحديث، إلّا أنّ الظرف السياسي والصراع الطائفي أيام السلطة السلجوقية أسهم بتأسيس هذا التجمع الأكاديمي العلمي حين هُجّر الشيخ الطوسي وتلامذته من بغداد سنة٤٤٨هـ وما زالت تلك الحوزة العظيمة تقدم أبحاثها المبتكرة والجديدة بشكل مستمر.

كلا الصرحين يضم مكتبات عريقة تحوي آلاف المخطوطات التاريخية، ومرت عليهما معا ظروف أمنية سيئة، وفيهما الكثير من الأبنية التاريخية التي أنشأ معظمها متبرعون ومانحون ورجال دين، وحتى النظم التعليمية في أكسفورد والنجف تختلف عن البقية من حيث حرية الاختيار ونظام المباحثة الثنائية والثلاثية والذي يدعى(Tutor) ، وأصبحت الجامعتان تمثلان هوية المدينة وألقت بظلالها العلمية على البنية المجتمعية، وكلاهما أصبح عنصر جذب للطلاب من كل أقطار العالم، فتجد الجنسيات المختلفة تتجه صوبهما لطلب العلم، إنهما نموذج رائع للمدينة العلمية في عالمي الشرق والغرب، نعم سبقت النسوة في الحوزة نسوة أكسفورد بمئات السنين، فأكسفورد كانت تمنع إعطاء شهادة الإجازة العلمية للنساء حتّى عام ١٩٢٠م بينما لم تكن الحوزة تمانع إعطاء النساء الإجازة، وهذا ليس لأن حوزة النجف أعرق وأقدم من جامعة أكسفورد بـ (١١٥) عامًا، بل السبب الكامن وراء ذلك طبيعة المجتمع العلمي والدين والأعراف الأكثر التزاما بحقوق المرأة.

غيث شبر

أصالةُ الحرفِ
وبهاءُ المدرسة البغداديّة..

بقلم: رحيم رزاق الجبوري



رحلة الخطّاط حسين النصراويّ مع الخطّ العربيّ

في مسيرة الخط العربي، لا يكفي امتلاك الموهبة للوصول إلى مرتبة الإبداع؛ فالحرف العربي له قواعده وموازينه وأسراره، ولا يفتح أبوابه إلا لمن يمنحه الوقت والصبر والمشق وملازمة الأستاذ. ومن هذه الرؤية تتشكل تجربة الخطّاط العراقيّ حسين النصراويّ، المولود في كربلاء المقدسة عام ١٩٦٥، وأحد تلامذة الأستاذ الكبير الراحل عباس البغدادي.

بدأ النصراوي رحلته مع الفن من الرسم، حين كان يرسم لزملائه في المدرسة، وشارك في عدد من المعارض، محققا جوائز خلال المرحلتين الابتدائية والمتوسطة. غير أن علاقته الأولى بالخط العربي تعود إلى نهاية سبعينيات القرن المنصرم، حين اقتنى شقيقه الأكبر كراسة للخط الديواني مع أقلام خط ملونة، فبدأ يتدرب معه، لتتحول تلك التجربة البسيطة إلى بداية لمسيرة امتدت عقودا. ومع بداية تسعينيات القرن الماضي، افتتح مكتبا للخط العربي، ثم جاءت مرحلة العمل على الكاشي الكربلائي لتمنحه فرصة مهمة للاحتكاك بالأعمال الخطية. فقد كان ينفذ أعمال الخطاط والأستاذ الكبير جاسم النجفي (رحمه الله)، ومنها بدأ بتقليدها والتدرب عليها، حتى أصبح يكتب الخط مباشرة على الكاشي الكربلائي، وأسهم آنذاك في كتابة أعمال لعدد كبير من الجوامع والحسينيات والمراقد المقدسة.

المعلم والأستاذ والأب الروحي

عام ١٩٩٣ كان محطة مفصلية في حياة النصراوي، حين تعرف إلى الأستاذ الكبير الراحل عباس البغدادي في مكتبه ببغداد، في منطقة الأعظمية، وتتلمذ على يديه منذ ذلك التاريخ. ويستذكر النصراوي أستاذه بوصفه «مثال الأستاذ والمعلم والأب الروحي لهذا الفن العظيم»، مشيرًا إلى أنه «كان صاحب أسلوب خاص وفريد ومميز، شديد الحرص على التفاصيل الصغيرة، وكان حريصا على تعليم تلامذته وتوجيههم ومساعدتهم على تحسين مهاراتهم الفنية». وظل النصراوي ملازما لأستاذه بالتواصل حتى عام ٢٠٠٣، ثم استمر التواصل عبر مواقع التواصل الاجتماعي إلى أن توفي البغدادي، مستذكرا إياه بالدعاء والرحمة.

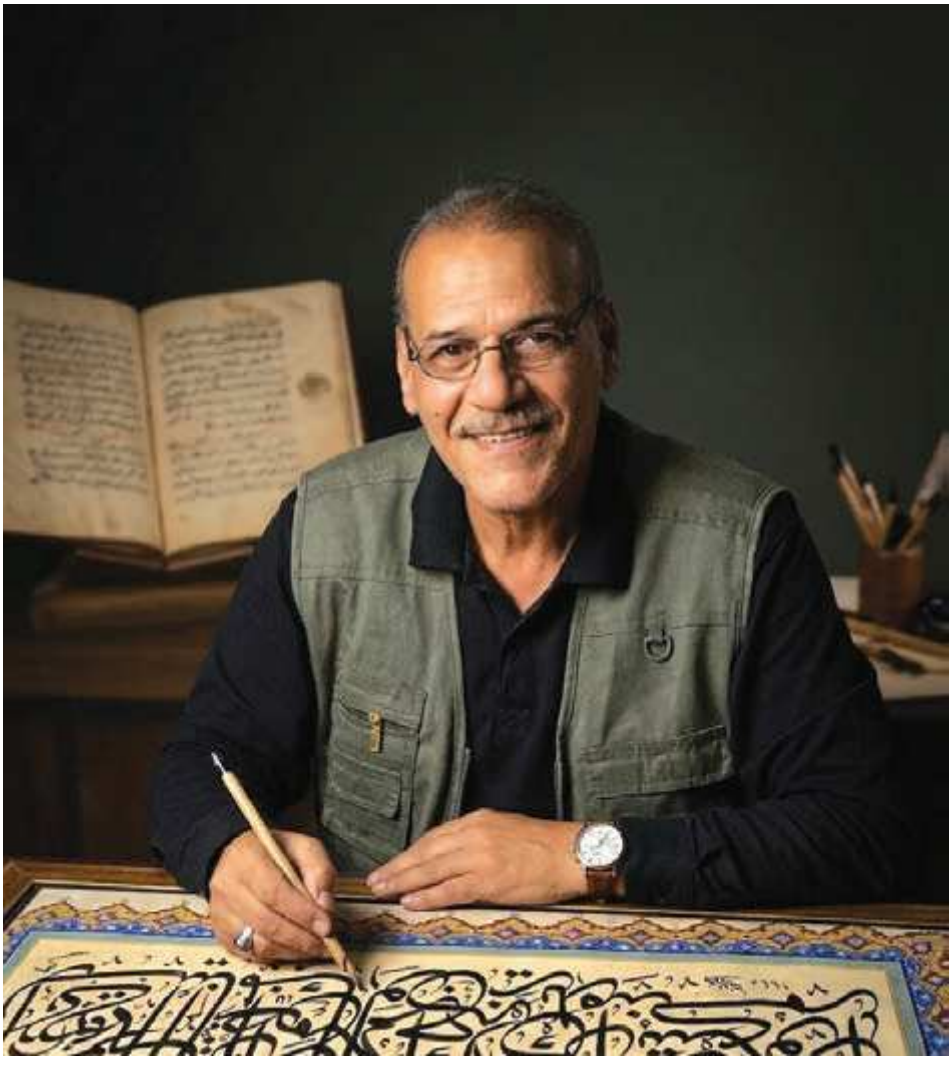
الحرف في رحاب الإمام الحسين(ع)

لم تكن علاقة النصراوي بالخط علاقة تقنية فقط، وإنما ارتبطت لديه بحالة روحية وإيمانية عميقة. فقد كان ينفذ كثيرا من أعماله، ولا سيما الكتابات الطويلة والتراكيب المدورة، على الكاشي الكربلائي في معمل صغير داخل الحرم المقدس وتحت قبته الشريفة. وكانت تلك الأعمال تنجز في أجواء إيمانية، وعلى سماع آيات القرآن الكريم والأدعية المباركة، وهو ما يعكس نظرته إلى الخط العربي بوصفه فنا يحمل بعدًا روحيًا وثقافيًا، وليس مجرد مهارة يدوية. ويؤكد النصراوي أن «الخطاط يستلهم كثيرًا من لوحاته من القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة، ولذلك فإن بداية الكتابة

عنده قد تسبقها طقوس خاصة تهيئ النفس للدخول في عالم الحرف، ومنها الوضوء وقراءة بعض الآيات القرآنية والأوراد». ومن هنا يرى أن هناك «عشقا أبديا بين الخط والخطاط، وأن الخط العربي يحتاج إلى تركيز وصبر وتفان في التدريب».

المدرسة البغدادية.. أصل المدارس اللاحقة

وحول الحديث عن المدرسة العثمانية والمدرسة البغدادية، يرى النصراوي أن الأدق هو الحديث عن مدرسة بغدادية واحدة، عدها أساس المدارس اللاحقة، مشيرا إلى «إسهام كبار الخطاطين







العراقيين في تأسيس قواعد هذا الفن وتطويره، وفي مقدمتهم ابن مقلة وابن البواب وياقوت المستعصمي». ويرى أن «الخط العربي انتقل بعد ذلك إلى الدولة العثمانية، حيث تطورت مدارسه وأساليبه، وأصبح لها حضور كبير في تاريخ الخط العربي».

الثلث.. جمال مكتمل وصعوبة بالغة

وعن أصعب أنواع الخط العربي، يضع النصراوي خط الثلث في المرتبة الأولى، يليه خط النسخ، مبينا أن النسخ يمثل مكملا مهما للثلث في كتابة المصاحف الشريفة والحليات، ومنها أوصاف النبي محمد(ص)، واصفًا الثلث بأنه «من أكثر







الخطوط العربية جمالا وكمالا وصعوبة، بسبب دقة قواعده وموازينه، ولذلك استخدم في كتابة العناوين، ولا سيما في المخطوطات والمصاحف الشريفة، وكذلك في الأضرحة المقدسة وعناوين الأبنية. وتكمن قوة الثلث، بحسب رؤيته، في قدرته الواسعة على التشكيل والإبداع، بسبب مرونة الحروف ومطاوعة تركيبها وتشكلها وتداخلها، الأمر الذي أتاح للخطاطين تكييف التراكيب وفقا للمساحات المتاحة، سواء كانت مستطيلة أو دائرية أو بيضوية أو على هيئة أفاريز ممتدة».

الزخرفة.. العنصر المكمل للوحة

النصراوي يرى أن الخط العربي ارتبط تاريخيا بالزخرفة الإسلامية، التي استخدمت في تزيين القصور والمساجد والمخطوطات وكتابة المصاحف الشريفة. ويعد الزخرفة عنصرا مكملا للعمل الفني، لما تضيفه من جمال وبهاء وتوازن بصري إلى اللوحة الخطية، مؤكدًا أن «العلاقة بين الخط والزخرفة علاقة تاريخية وجمالية متينة». أما الألوان، فيراها من العناصر التي تضفي جمالا على الخط العربي، ولا سيما في أعمال قطع التسويد، وهو أسلوب خطي يقوم على مشق الحروف وتكرارها، ويشيع خصوصا في خطي الثلث والنسخ. ويهدف هذا الأسلوب أساسا إلى التدريب، حيث يجري الخط

وفق اتجاهات أو أوضاع ثابتة، وقد يلجأ الخطاط إلى التسقيط أحيانا، فتتشكل نتيجة ذلك تكوينات متزاحمة ومتداخلة من الحروف والكلمات.

لماذا يتفوق الإندونيسيون؟

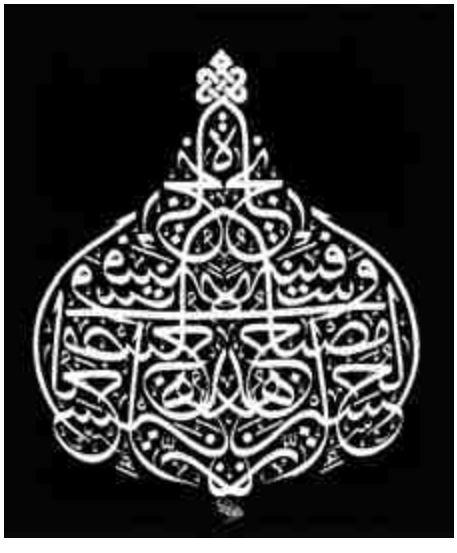
شهد الخطاطون الإندونيسيون في السنوات الأخيرة حضورًا قويًا في المسابقات الدولية، وحصدوا مراتب متقدمة، وهو نجاح يربطه النصراوي بانتشار معاهد ومدارس الخط في إندونيسيا، ووجود ثقافة واسعة تهتم بهذا الفن. ويشير إلى أنهم يتدربون ويتسابقون بصورة جماعية، من كلا الجنسين، وبمستوى عال من الدقة والانضباط، كما تعلموا صناعة اللوحة بصورة جيدة. ويضيف أن إعداد العمل المشارك في المسابقة قد يستغرق لديهم أشهرا، مع عناية كبيرة بدقة الحرف ونظافته، مؤكدًا أنهم يتعاملون مع العمل بإخلاص وصبر شديدين.



التحكيم.. مسؤولية تتطلب معرفة عميقة

وبحكم مشاركته في لجان التحكيم، يؤكد النصراوي أن المحكم ينبغي أن يكون فاهما ومدركًا لأسس وعناصر اللوحة الخطية، وأن يمتلك القدرة على تقييم صحة التراكيب، ودراسة المد





والاختزال، فضلًا عن معرفة الخصائص البنائية للتكوين الخطي. ويؤكد أن مشاركته في المسابقات، سواء متنافسًا أو محكمًا، واحتكاكه بالخطاطين، أسهمت في زيادة خبرته وفهمه لأسس وعناصر التصميم، والخصائص البنائية التي تقوم عليها اللوحة الخطية. ومن هذا المنطلق، فإن تقييم الأعمال لا ينبغي أن يقوم على الانطباع وحده، وإنما على المعرفة الدقيقة بقواعد الخط وجماليات التكوين وجودة التنفيذ.

الخط العربي والفن التشكيلي

يرفض النصراوي الاعتقاد الذي يضع الخط العربي بوصفه جزءا من الفنون التشكيلية بالمعنى المباشر، مؤكدا أن الخط فن قائم بذاته، له قواعده وخصوصيته ومرجعياته. فالفنون التشكيلية، كما يوضح، تشمل الرسم والنحت والتصوير، وتعتمد بدرجة كبيرة على الابتكار والتعبير الفردي، في حين أن الخط العربي تحكمه أسس وضوابط دقيقة في رسم الحروف والموازين والتراكيب. ومع ذلك، يمكن استخدام الخط العربي في الزخرفة والتصميم واللوحات التشكيلية، غير أن ذلك لا يلغي خصوصيته بوصفه فنا يحمل قيمة تاريخية ودينية وحضارية كبيرة، ويعبر

عن تراث وثقافة العرب والمسلمين. ويرى أن الفنان التشكيلي يمتلك مساحة أوسع في إطلاق خياله والابتكار، في حين أن الخطاط يتحرك داخل منظومة من القواعد التي لا يستطيع تجاوزها دون أن يفقد العمل هويته الخطية.

التكنولوجيا.. شريك للخطاط وليست بديلا عنه

في مواجهة التكنولوجيا الحديثة والذكاء الاصطناعي، يرى النصراوي أن فن الخط العربي، بوصفه فنا وحرفة تقليدية، يعتمد على التفرد والإبداع والإحساس، وهي عناصر لا تستطيع التكنولوجيا أن تحل محلها. لكنه لا يرى في التكنولوجيا عدوا للخطاط، وإنما يمكن أن تكون شريكا له، من خلال استخدام الأدوات الحديثة والتطبيقات والبرامج التي تساعد على تطوير العمل وتحسينه، شرط ألا يكون ذلك على حساب الجمال الفني والإحساس الذي يضعه الخطاط في عملية الكتابة. وفي المقابل، يشير إلى أن التكنولوجيا الحديثة أسهمت في ابتعاد بعض الناس عن الخطاط، نتيجة الاعتماد على خطوط الحاسوب الجاهزة والسريعة في الكتب والمجلات والمطبوعات، وهو ما انعكس على المردود المادي للخطاطين.

تحديات الخطاط العراقي

يرى النصراوي أن من أبرز التحديات التي تواجه الخطاط العراقي قلة المردود المادي، وضعف اهتمام الجهات المعنية والحكومية برعاية الخطاط ودعمه وتسويق أعماله. ويضاف إلى ذلك تأثير التكنولوجيا وانتشار الخطوط الرقمية، التي أصبحت خيارا جاهزا وسهلا للكثير من المطبوعات. ومع ذلك، يؤكد أن الخط العربي ما زال يمتلك أسماء مهمة، وأن عددا من الخطاطين العراقيين قطعوا أشواطا متقدمة، وشاركوا في المسابقات الدولية متسابقين ومحكمين، وحققوا نتائج متقدمة.





الإجازة.. تقليد أصيل وسند تاريخي

يعد النصراوي الإجازة في الخط العربي من أبرز سمات تاريخ هذا الفن، إذ يقوم الأستاذ بعد تدريب تلامذته على إجادة الخط وضبط الحروف وإتقان رسومها ومعرفة دقائقها، باختيار الكفوء والمخلص منهم ومنحه الإجازة. ويعد التلميذ لوحة خاصة بالإجازة، يكتب فيها نصوصا بأبهى صورة وأفضل مستوى خطي، لتصبح هذه اللوحة شهادة على بلوغه مستوى يؤهله للحصول على الإجازة. ويرى أن تاريخ الخط العربي والخطاطين يزخر بمئات الإجازات الخطية الرائعة، التي تمتد أسانيدها عبر أجيال الخطاطين، ويربط النصراوي هذا التقليد بجذور علم الخط والكتابة وقواعده التي ينسبها في الرواية التراثية إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب(ع).

كيف يتعلم المبتدئ؟

يضع النصراوي «المشق» في قلب عملية تعلم الخط العربي، ويرى أن التدريب المتواصل، وملازمة الأستاذ، والاستفادة من نصائحه، وقراءة القرآن الكريم، تمثل ركائز أساسية في بناء الخطاط. ويستشهد بقول منسوب إلى الإمام علي(ع): «الخط مخفي في تعليم الأستاذ، وقوامه كثرة المشق ودوامه على دين الإسلام». ومن هنا ينصح كل متعلم ومبتدئ بالالتزام بالتدريب وعدم استعجال النتائج، لأن الاحتراف في الخط، بحسب تجربته، لا يتحقق بالموهبة وحدها.

مسؤولية الأسرة والمدرسة والمؤسسات الثقافية

يشير النصراوي إلى أن إعادة الخط العربي إلى دائرة اهتمام الأجيال الجديدة تحتاج إلى مشروع ثقافي وتربوي ومنهجي، يبدأ بتثقيف الكبار والصغار بماهية هذا الفن، وأبعاده التاريخية والفنية، وأهمية موروثه الحضاري بوصفه فنا ارتبط بالعرب والمسلمين. وتبرز هنا مسؤولية الأسرة والمدرسة والمؤسسات الثقافية في تقديم الخط العربي بطريقة محببة، وإتاحة الفرص أمام الأطفال والشباب للتعرف إليه وممارسته، لا باعتباره مادة تعليمية جامدة، وإنما فنا يحمل الجمال والهوية والتاريخ.

مستقبل الخط العراقي

ورغم التحديات، ينظر النصراوي بتفاؤل إلى مستقبل الخط العربي في العراق، مستندا إلى وجود خطاطين كبار يمتلكون قاعدة فنية متينة وتلامذة كثرا، فضلا عن ظهور جيل من الخطاطين الشباب المثقفين الذين حققوا جوائز



ونتائج متقدمة في المسابقات. ويرى أن هؤلاء الشباب يمكن أن يشكلوا امتدادا جديدا للمدرسة العراقية، وأن أمامهم مستقبلا واعدا إذا وجدوا البيئة المناسبة للتدريب والرعاية والمشاركة.

لا زلت في بداية الطريق

ورغم عقود من الممارسة، والمشاركات والجوائز، والكتابة على الكاشي والمصحف الشريف، والعمل في المسابقات ولجان التحكيم، لا يرى حسين النصراوي نفسه قد بلغ نهاية الطريق. إذ يقول: «لا زلت في بداية الطريق وأحتاج إلى الكثير، وفي كل يوم أتعلم شيئا جديدا. فالخط العربي كالعِلم، إن لم تعطه كلك لا يعطيك بعضه». ويضيف أن «غايته الكبرى تتمثل في الحرص على تجويد آيات الله وكتابة المصحف الشريف وجعله في مستوى رفيع من الضبط والجمال».

مسيرة إبداعية رائدة

يعد الخطاط العراقي حسين النصراوي، المولود في كربلاء المقدسة عام ١٩٦٥، واحدا من أبرز تلامذة الأستاذ الكبير الراحل عباس البغدادي. وقد توج مسيرته الفنية بالانضمام إلى عدة مؤسسات مرموقة؛ فهو عضو في جمعية الخطاطين العراقيين، والمركز الثقافي للخط العربي والزخرفة الإسلامية، وجمعية التشكيليين العراقيين، ونقابة الفنانين العراقيين، فضلا عن عضويته في جمعية الخطاطين الأردنيين. وعلى صعيد المشاركات والجوائز، ترك النصراوي بصمة واضحة في كبرى المهرجانات والمسابقات المحلية والدولية. فقد شارك في مهرجان بغداد العالمي الثالث للخط العربي والزخرفة الإسلامية عام ١٩٩٥ وحصل فيه على شهادة تقديرية، تلا ذلك فوزه بجائزة مهرجان دار السلام الثاني

للخط العربي والزخرفة الإسلامية عام ١٩٩٦، ثم نيله شهادة تقديرية أخرى في نسخته الثالثة عام ٢٠٠١. كما خاض منافسات دولية بارزة في إسطنبول، شملت مسابقة الشيخ حمد الله الأماسي، ومسابقة السيد إبراهيم عام ٢٠٠٣، ومسابقة إكمال الدين إحسان أوغلو عام ٢٠١٣. وتوالت إنجازاته بنيله الجائزة الأولى مناصفة في مسابقة يوم الشهيد للخط العربي والزخرفة الإسلامية عام ٢٠٠٧، وحصوله على الجائزة الأولى في مهرجان كوثر العصمة الدولي الثالث للخط العربي عام ٢٠٢٤، إضافة إلى تتويجه بجائزة ابن البواب للإبداع في الخط العربي. ولم تقتصر مسيرته على الإبداع الشخصي والمنافسة، بل امتدت لتشمل التحكيم الفني، حيث شارك في عضوية لجان تحكيم عدد من المسابقات المرموقة، ومنها اللجنة التحكيمية لمسابقة السفير التاسعة ومسابقة وارث الأنبياء الثانية. أما عن أبرز إنجازاته الفنية والميدانية، فقد أثرى المكتبة القرآنية والدينية بأعمال عظيمة، تمثلت بكتابة الجزء الشرقي والغربي من المسقف الحسيني بخط الثلث، وكتابة المصحف الشريف بخط النسخ بقلم قياسه ١ ملم، إلى جانب كتابة جزء تبارك بخط الثلث بقياسي ٢,٥ ملم و٣ ملم؛ تأكيدا على قناعته الراسخة بأن الكتابة القرآنية والخط الديني هما من أرفع المراتب التي يمكن أن يبلغها الخطاط في مسيرته الفنية.





رحل طفلهم

كيف يعيش الأهل العمر الذي تمنّوه له؟

أوس ستار الغانمي

تُرفع كراسي العزاء، وتبقى حقيبة المدرسة. يعود الأقارب إلى بيوتهم، ويظل موعد عودة الطفل حاضرًا في انتباه أمّه، قبل أن تتذكر أنه لن يفتح الباب. خارج المنزل، تتواصل حركة الشارع، وتصل رسائل العمل، ويعرض البائع بضاعته، كأن شيئًا لم يحدث. أما داخله، فتحتاج أبسط الأشياء إلى ترتيب جديد: المائدة، والغرف، وساعات الصباح، وحتى الإجابة عن سؤال عابر حول عدد الأبناء.

لا يفقد الأهل طفلهم في لحظة الوفاة وحدها؛ يواجهون غيابه لاحقًا في تفاصيل لم يكونوا يتصورون أنها تحتاج إليه. يتوقف شراء طعام يحبه، وتبقى مساحة فارغة في المقعد الخلفي للسيارة، ويأتي يوم لا يعود فيه أحد يسأل عن واجبه المدرسي. ما كان جزءًا تلقائيًا من يومهم يصبح موضع انتباه مؤلم. وبين هذه التفاصيل تتشكل حياة لم يختاروها، ولا يعرفون بعد كيف يسكنونها.

وتبدو عبارة «الحياة تستمر» صحيحة من الخارج، لكنها لا تشرح ما يجري في الداخل. استمرار الأيام أمر واقع، بينما القدرة على المشاركة فيها مسألة أخرى. قد يعود الأب إلى عمله لأن الراتب لا ينتظر، وتنهض الأم لإعداد الطعام لأن في البيت من يحتاج إليها، من دون أن يعني ذلك أنهما وجدا جوابًا عن الفقد أو استعادا إحساسهما القديم بالأمان.

وراء المشهد سؤال يتجاوز قدرة الوالدين على التحمل: ما الذي يساعدهما فعلًا؟ هل يحتاجان إلى مزيد من النصائح، أم إلى وقت لا يخضع للمراقبة؟ وكيف يمكن للأسرة والمحيط والمؤسسات أن تؤدي دورها، من دون أن تجعل الحزن واجبًا آخر على المفجوع أن يؤديه بطريقة ترضي الآخرين؟

تبدأ الإجابة من الاعتراف بأن وفاة الطفل تغيّر نظام البيت كله. فهي تمس علاقة الزوجين، وموقع الإخوة، وموارد الأسرة، وذاكرتها، وتصورها للمستقبل. ولهذا فإن مواصلة الحياة تحتاج إلى معالجة هذه التفاصيل، كلٌّ في موضعه، بدل جمعها في مطالبة عامة بالصبر وترك الأهل وحدهم أمام ما يليها.

ما بعد الباب المغلق

تمنح أيام العزاء الأسرة برنامجًا جاهزًا تتحرك داخله، مهما كان قاسيًا. هناك زوار ينبغي استقبالهم، ومواعيد، وإجراءات، وأشخاص يتولون بعض شؤون المنزل. وحين تنتهي هذه الحركة، يبدأ وقت مختلف لا تُعرف مهماته مسبقًا. يطول المساء، وتصبح العودة إلى البيت



أثقل، وقد يكتشف أحد الوالدين أنه كان يؤجل مواجهة أشياء صغيرة طوال انشغاله بالناس.

من تلك الأشياء ارتباط العناية بالطفل بمواعيد ثابتة. تستيقظ الأم في الساعة التي اعتادت أن توقظه فيها، أو تمتد يد الأب إلى الهاتف ليتأكد من وصوله، ثم يتوقف الفعل قبل اكتماله. هذه اللحظات لا تعني أن الأهل يجهلون ما حدث؛ إنها تكشف مقدار ما دخلت الرعاية في عاداتهم. المعرفة بالوفاة تصل دفعة واحدة، أما تفاصيل الحياة فتحتاج إلى وقت كي تستوعبها.

ويختلف شكل هذا الفراغ بحسب ظروف الأسرة. من عاش سنوات من العلاج قد يجد نفسه أمام يوم خالٍ من الدواء والمراجعات والانتظار. ومن فقد طفلًا على نحو مفاجئ قد يبقى منشغلًا بالفاصل القصير بين صباح عادي وخبر غيّر كل شيء. لا تمنح المقارنة بين الحالتين تفسيرًا عادلًا لحجم المعاناة؛ ففي كل منهما أعباء وأسئلة ينبغي فهمها على حدة.

وتبرز سريعًا مشكلة القرارات المنزلية. هل تُترك الغرفة كما هي؟ هل تُنقل الملابس؟ ماذا عن الكتب والألعاب والأشياء التي كان الطفل قد اختارها لنفسه؟ ليست هذه أعمال ترتيب عادية، لأن كل قرار قد يُحمّل معنى أكبر منه. نقل السرير قد يبدو لأحد الوالدين ضرورة عملية، بينما يشعر الآخر بأنه إلغاء لأثر يصعب عليه التخلي عنه.

الأفضل أن تبقى القرارات القابلة للتأجيل مفتوحة، خصوصًا عندما يختلف الوالدان بشأنها. ويمكن البدء بما تفرضه الحاجة وحدها، مع الاحتفاظ بالأشياء التي يتفقان على أهميتها. أما تدخل قريب لترتيب الغرفة سرًا، بقصد إراحة الأسرة، فقد يسلبها فرصة اتخاذ قرارها بنفسها. ما يبدو للزائر قطعة ملابس قد يحمل لصاحبه آخر ذكرى ملموسة من يوم محدد.

وقد تفرض ضيق المساحة أو ظروف السكن معالجة أسرع للمقتنيات. هنا ينبغي تجنب تحويل شكل البيت إلى معيار للوفاء. ليست كل أسرة قادرة على إبقاء غرفة مغلقة، وليس كل احتفاظ بالأشياء مريحًا لأصحابه. يمكن صون ما له قيمة خاصة في صندوق أو مكان مناسب، من دون أن يُطلب من المنزل أن يتوقف عن أداء وظائفه لمن يعيشون فيه.

وثمة ممتلكات لا تشغل مساحة ظاهرة، لكنها تحتاج إلى عناية: الصور، والتسجيلات الصوتية، والمحادثات، والمقاطع المحفوظة على الهاتف. قد تصبح خسارة جهاز أو حذف ملف مصادفة



مصدر ألم إضافي. لذلك يمكن لشخص موثوق، بعد موافقة الأهل، أن يساعد في حفظ نسخ آمنة ومنظمة. وتبقى هذه المهمة مختلفة عن تداول المواد؛ امتلاك نسخة للحماية لا يمنح صاحبها حق النشر أو الإرسال.

أما الحسابات والخدمات المرتبطة بالطفل فتفتح بابًا آخر من التفاصيل. قد تصل رسائل من المدرسة، أو تذكيرات بموعد طبي، أو إعلانات لشراء مستلزمات سبق البحث عنها. تحتاج الأسرة إلى من يساعدها، إذا رغبت، في إيقاف ما يزعجها وتحديث البيانات الضرورية. هذه أعمال تبدو تقنية وإدارية، لكنها قد توفر على الأهل مواجهات متكررة لم يختاروا توقيتها.

ومن المفيد التمييز بين ما يجب إنجازه فورًا وما يمكن إرجاؤه. فجمع الأوراق الأساسية، وتسوية المواعيد، والتعامل مع المدرسة، يختلف عن بيع منزل أو تغيير مدينة أو التخلص من جميع المقتنيات. عندما لا توجد ضرورة عاجلة، يمنح تأجيل القرارات الكبيرة فرصة لاتخاذها بقدر أكبر من الوضوح، بدل ربطها برغبة طارئة في الابتعاد عن كل ما يذكّر بالطفل.

ولا تتوزع هذه الأعباء بالتساوي داخل البيت. قد يتولى أحد الوالدين معظم الاتصالات والإجراءات، بينما ينشغل الآخر بالأبناء أو يستنفد الحزن قدرته على المتابعة. يمكن لقريب موثوق أن يجمع المطالب في قائمة قصيرة، ويحدد ما يستطيع إنجازه بالتفويض، ويعود

إلى الأسرة في القرارات التي تخصها. بذلك يخف الضغط من دون أن تتحول المساعدة إلى إدارة مفروضة لحياتها.

وفي البيوت التي تضم أكثر من جيل، يصبح الاتفاق على حدود التدخل ضروريًا. الجدة قد ترغب في إبقاء كل شيء، والعم قد يقترح تغيير الغرفة، والخالة قد ترى أن الخروج اليومي أنفع. تعدد الآراء، ولو صدر عن محبة، يمكن أن يربك الوالدين. من حقهما سماع المقترحات، ثم اختيار ما يناسبهما من دون أن يتحول الرفض إلى خلاف عائلي.

هذه المرحلة تكشف أن الفراغ ليس شعورًا مجردًا؛ له مواعيد وأشياء وأوراق ومساحات. وكلما جرى التعامل مع تلك التفاصيل بهدوء، تراجعت الأعباء التي يمكن تجنبها. لا يزيل ذلك أصل المصاب، لكنه يمنع أن تصبح إدارة البيت سلسلة إضافية من الصدمات الصغيرة، ويترك للأهل بعض الطاقة لمواجهة ما لا يستطيع أحد إنجازه نيابة عنهم.

مستقبل بلا مواعيد

يرتبط معنى الأبوة والأمومة بقدرة مستمرة على توقع الخطوة التالية. قبل أن يدخل الطفل المدرسة، تُتخيل حقيبته؛ وقبل أن يكبر، يُتحدث عن ميوله ومهنته؛ وفي كل مرحلة تُبنى خطط صغيرة حول ما سيأتي. عندما يموت، لا تغيب ذكرياته وحدها، وإنما تفقد هذه التوقعات صاحبها. لهذا قد يتألم الوالدان من مناسبة لم يسبق لهما أن عاشاها معه أصلًا.



يظهر ذلك حين ينتقل أقرانه إلى صف جديد، أو تتغير أصواتهم، أو تُعرض صور تخرجهم. يصبح مرور السنوات مرئيًا في وجوه الآخرين، بينما تبقى صورته عند عمر معين. وقد تتجدد الأسئلة بشأن ما كان سيحبه أو يختاره لو بقي. لا يتعلق الأمر باستعادة الماضي فقط، بل بمحاولة فهم موقع مستقبل كان حاضرًا في خيال الأسرة ثم انقطع.

ومن هنا تنشأ حساسية بعض المناسبات الاجتماعية. قد ترغب الأم في تهنئة قريبتها بمولودها، وتجد الزيارة فوق طاقتها في الوقت نفسه. وقد يفرح الأب بنجاح ابن أخيه، لكنه يحتاج إلى المغادرة قبل انتهاء الاحتفال. هذه المواقف لا تُقرأ بالضرورة بوصفها اعتراضًا على سعادة الآخرين؛ إنها لقاء بين مشاعر مختلفة في لحظة واحدة، يصعب أحيانًا التعبير عنها بأدب يشرح كل شيء.

يساعد وجود بدائل اجتماعية بسيطة: تهنئة باتصال، وزيارة قصيرة، واعتذار لا يستدعي التحقيق. ليس على الأهل أن يقدموا تفسيرًا تفصيليًا لكل غياب، كما لا ينبغي للأقارب أن يحولوا حضور المناسبات إلى اختبار للعلاقة. الاحتفاظ بصلة مرنة يسمح باستمرار المودة، ويمنع أن تضاف إلى الفقد خصومات نشأت من قراءة خاطئة لسلوك متعب.

ويتبدل معنى الوقت داخل الأسرة. تاريخ الميلاد، وموعد دخول المستشفى، واليوم الأخير في المدرسة، كلها قد تصبح علامات ذات وزن خاص، لا يعرفها المحيط. لذلك لا يكفي الانتباه إلى ذكرى الوفاة وحدها. بعض الأيام المؤلمة لا تحمل إعلانًا عامًا، وقد لا يستطيع الشخص نفسه توقع أثرها قبل أن تأتي.

يمكن للأسرة أن تتحدث مسبقًا عن يوم تعرف أنه صعب، وتختار كيف تقضيه. قد يناسبها لقاء محدود، أو وقت خاص، أو ممارسة دينية، أو نشاط لا يرتبط مباشرة بالذكرى. لا يفرض ذلك خطة صارمة؛ فائدته أنه يقلل عنصر المفاجأة، ويمنح الوالدين حق تحديد الصحبة والوقت، بدل الانجرار إلى برنامج رتبه الآخرون بحسن نية.

وتتغير أيضًا طريقة تقديم الأسرة لنفسها. سؤال «كم طفلًا لديكم؟» قد يفتح حسابًا لا يتعلق بالأرقام: هل يُذكر الطفل الراحل؟ هل تُشرح القصة لشخص غريب؟ وهل سيؤدي الجواب إلى أسئلة إضافية؟ لا توجد صيغة واجبة هنا. يستطيع الوالدان اختيار مقدار ما يقولانه بحسب الموقف، ولا ينبغي تفسير الاختصار بوصفه إنكارًا، أو الإفصاح بوصفه تعلقًا غير مقبول بالماضي.

وتشتد هذه المسألة إذا كان الطفل وحيدًا. فقد يجد الأبوان أن الكلام حولهما انتقل سريعًا من شؤون الأبناء إلى احتمال إنجاب طفل آخر، بينما لم يجدا بعد مساحة للحديث عن الشخص الذي فقداه. الأبوة والأمومة لا تختزلان في وجود طفل حي داخل المنزل؛ فالعلاقة التي تكونت، وما تركته من معرفة ومسؤولية ومحبة، لا تختفي بمجرد تغير الوضع العائلي الظاهر.

أما الفقد في الشهور الأولى من العمر، فيواجه أحيانًا تقليلًا مختلفًا. قد يظن المحيط أن قلة الذكريات تعني خفة الخسارة، مع أن الوالدين ربما كانا يودعان سنوات من الانتظار والاستعداد. لم تتكون للطفل سيرة طويلة، لكن مكانه كان قد تشكل في البيت واللغة والخطط. الاعتراف بهذه الحقيقة يحمي الأسرة من اضطرارها إلى الدفاع عن حقها في الحزن.

وعندما تبدأ لحظات الراحة بالظهور، قد يصاحبها سؤال عن الوفاء. يضحك أحد الوالدين ثم يشعر بالذنب، أو يستمتع برحلة قصيرة ويعود ليلوم نفسه. هنا ينبغي فصل المحبة عن مقدار الألم: لا تصبح العلاقة بالطفل أصدق كلما ازدادت معاناة أهله، ولا تُلغى إذا استعادوا القدرة على الاستمتاع بشيء. مواصلة الحياة لا تتطلب نسيانه، بل إيجاد مكان لذكراه داخلها.

وقد تختار الأسرة وسيلة محددة لهذا المكان: دفترًا تكتب فيه ما تتذكره، أو ألبومًا مرتبًا، أو صدقة باسمه، أو الاحتفاظ بتسجيل لصوته. المهم أن تنبع الوسيلة من رغبتها، لا من توقع اجتماعي بأن تحول المصاب إلى مشروع عام. لا يدين الأهل لأحد بقصة ملهمة، ولا يُطلب منهم استخراج درس جاهز من تجربة ما زالوا يحاولون احتمالها.

وإذا اختاروا نشاطًا خيريًا أو اجتماعيًا، فمن حقهم أن يحددوا حجمه وأن يتوقفوا عنه إن أصبح مرهقًا. الوفاء ليس التزامًا إداريًا لا ينتهي. وقد تكون الذكرى أكثر قربًا في فعل محدود يستطيعون الاستمرار فيه، بدل مبادرة كبيرة تضع عليهم مطالب جديدة. المعيار هنا ما يمنح العلاقة بالغائب معنى يحتملونه، لا ما يبدو أكثر تأثيرًا أمام الناس.

شريكان تحت الضغط

لا تمنح الخسارة المشتركة الزوجين استجابة متطابقة. قد يحتاج أحدهما إلى الحديث، بينما يفضل الآخر الانشغال بمهمة واضحة. وقد يرغب أحدهما في

النظر إلى الصور، فيما لا يستطيع الثاني ذلك في الفترة نفسها. يصبح الاختلاف مؤذيًا عندما يُفسر على أنه دليل على أن طرفًا أحب الطفل أكثر، أو أن الآخر بدأ يتخلى عن ذكراه.

ولا تصلح التقسيمات الجاهزة بين الرجال والنساء لتفسير كل بيت. فالأب قد يكون الأكثر بكاءً، والأم قد تجد في العمل وسيلة مؤقتة لتنظيم يومها. ما يهم هو معرفة حاجة الشخص نفسه، بدل مطالبته بأداء دور اجتماعي متوقع. حين تُفرض على الأب صورة المتماسك دائمًا، قد يُحرم من السؤال عن ألمه؛ وحين تُختزل الأم في الانهيار، قد يُساء فهم أي هدوء تستعيده.

ويزيد الوضع تعقيدًا عندما يحاول كل طرف حماية الآخر بإخفاء ما يشعر به. يتجنب الأب ذكر الطفل خوفًا على زوجته، فتظن أنه لا يريد الحديث عنه. وتخفي الأم دموعها كي لا تثقل عليه، فيعتقد أنها تفضل البقاء وحدها. ليست النيات هنا المشكلة، بل غياب ما يسمح بفهمها. يمكن لعبارة مباشرة عن الحاجة الراهنة أن تمنع تأويلًا قاسيًا يستمر أيامًا.

ولا يشترط الحوار جلسات طويلة. قد يكون الاتفاق على سؤال بسيط في نهاية اليوم كافيًا لمعرفة ما إذا كان الآخر يريد الكلام أو الصحبة أو بعض الوقت منفردًا. المهم ألا يتحول السؤال إلى إلزام بالإجابة، وألا يُستخدم ما قيل في لحظة ضعف لاحقًا في خلاف. يحتاج الزوجان إلى مساحة آمنة، لا إلى تقرير يومي عن تقدم كل منهما في الحزن.

وتتأثر علاقتهما كذلك بتوزيع الأعمال. الأعمال المنزلية، ورعاية الأطفال، والمراجعات، وكسب الرزق، لا تختفي لأن الطاقة انخفضت. إذا بقي توزيعها السابق من دون مراجعة، فقد ينهك أحد الطرفين ويشعر بأن معاناته غير مرئية. الاتفاق على الضروريات، وتأجيل الكماليات، والاستعانة بشخص موثوق، يمكن أن يمنع تحول التعب العملي إلى اتهام عاطفي.

وقد تتغير الحاجة إلى القرب الجسدي والعلاقة الخاصة. ربما يبحث أحدهما عن الاحتضان والطمأنينة، بينما يشعر الآخر بالتعب أو الانسحاب أو صعوبة التفاعل. لا ينبغي قراءة ذلك فورًا بوصفه رفضًا للشريك. الاحترام هنا يعني سؤالًا لطيفًا، وقبول الحدود، وتجنب الضغط؛ وإذا استمر التوتر أو اتسع، فإن الاستشارة الزوجية قد توفر لغة تساعدهما على فهم ما يعجزان عن قوله.

ومن أكثر ما يضغط على العلاقة البحث عن سبب يمكن الإمساك به. قد

يعود الحديث إلى قرار طبي، أو رحلة، أو لحظة غاب فيها أحد الوالدين. وفي غمرة الألم، يمكن أن يتحول اختلاف قديم إلى ملف اتهام. الشعور بالذنب أو الغضب لا يثبت وحده وجود مسؤولية، كما أن معرفة النتيجة بعد وقوعها لا تعني أن منعها كان ممكنًا قبل ذلك.

إذا بقيت أسئلة تتعلق بالمرض أو العلاج، فالأجدى جمعها وطلب توضيح من الفريق المعني، بدل تداول فرضيات متناقضة بين الأقارب. وقد يفيد تدوين الأجوبة، لأن الاستماع في ظروف الحزن يكون مرهقًا. أما إذا وُجد اشتباه جدي بتقصير، فيمكن متابعة الوقائع عبر مسار مختص؛ فالبحث عن الحقيقة يحتاج إلى أدلة، وليس إلى محاكمة منزلية تتغذى على الخوف والاحتمالات.

وتستدعي التدخلات العائلية قدرًا من الحذر. انحياز أهل أحد الزوجين إليه قد يبدأ بنية حمايته، ثم يقسم الأسرة إلى طرفين. والتعليق على تصرفات الشريك، أو نقل كلمات قيلت في لحظة غضب، قد يصنع خلافًا إضافيًا. المساندة الأفضل تحافظ على حق كل طرف في أن يُسمع، من دون تشجيعه على اعتبار الآخر خصمًا في مصاب يشترك معه فيه.

ويحتاج كل منهما إلى سند خارج العلاقة أيضًا. ليس من العدل أن يُطلب من شخص مفجوع أن يكون المصدر الوحيد لطمأنينة شريكه. صديق موثوق، أو قريب يحسن الاستماع، أو مختص، يمكن أن يتيح مساحة تخفف الضغط عن البيت. ولا يعني هذا إخراج الحياة الزوجية إلى العلن، بل اختيار دعم يحفظ الخصوصية ولا يتغذى على التفاصيل.



أما موضوع الإنجاب مجددًا، فينبغي أن يبقى قرارًا يخص الزوجين، يُناقش بعيدًا عن الإلحاح العائلي. قد تختلف رغبتهما أو مخاوفهما أو استعدادهما، وقد تكون هناك اعتبارات صحية تستلزم استشارة. الطفل القادم، إن اختارا ذلك، له شخصيته وحقوقه، ولا يصح تحميله مهمة إعادة من رحل أو إصلاح العلاقة بين والديه.

وقد تظهر الخلافات حول الاسم أو الملابس أو المقارنات قبل ولادته أو بعدها. التعامل الواعي معها يحميه من العيش تحت توقعات تخص طفلًا آخر. يمكن أن يعرف أخاه الراحل ضمن تاريخ الأسرة، لكن من حقه أن تُرى ميوله وملامحه كما هي. محبة الغائب لا تحتاج إلى نسخة عنه، ورعاية المولود تبدأ بالاعتراف باستقلال حياته.

إخوة خارج الضوء

يمتلك الأطفال الباقون في الأسرة موقعًا معقدًا: فقدوا أخًا، وتغير البيت من حولهم، وقد أصبح الوالدان أقل قدرة على الانتباه إلى احتياجاتهم. يسمعون الكبار يتحدثون، ويلتقطون نبرات الخوف، ويرون الطقوس، لكن فهمهم لما جرى يتوقف على أعمارهم وما قيل لهم. وإذا تُركت الفجوات بلا تفسير، فقد يملؤونها بتصورات تزيد قلقهم.

يحتاج الطفل إلى كلام واضح يناسب سنه، يشرح أن أخاه مات وأن جسده توقف عن العمل ولن يعود إلى الحياة اليومية. ويمكن أن ترافق ذلك لغة الأسرة الدينية المطمئنة. أما الاكتفاء بوصف الموت بأنه نوم أو سفر، فقد يترك انتظارًا للعودة أو خوفًا من النوم، لأن الصغير يفهم الكلمات على نحو يختلف عن قصد الكبار.

وقد يتكرر السؤال نفسه مرات عدة. لا يعني ذلك بالضرورة أن الطفل لم يستمع؛ ربما يحاول استيعاب جانب جديد من المعنى، أو التأكد من ثبات الإجابة. الأفضل الرد بهدوء وبقدر السؤال، من دون إضافة تفاصيل قاسية لا يحتاجها. وإذا لم يعرف الوالدان جوابًا، يمكن الاعتراف بذلك بدل اختراع تفسير قد يتعارض لاحقًا مع ما يتعلمه الطفل.

وتوجد مخاوف لا تظهر في صيغة سؤال. قد يربط الصغير بين موت أخيه وشجار سابق، أو يتخيل أن أمنية غاضبة تسببت فيما حدث. لذلك ينبغي توضيح أن أفكاره وخلافاته العادية لم تُحدث الوفاة. هذا الكلام يرفع عنه مسؤولية خيالية قد يحملها بصمت، خصوصًا إذا كان قد سمع الكبار يراجعون التفاصيل ويبحثون عن أسباب.

وتختلف طرق التعبير عن الحزن. قد

يعود الطفل إلى اللعب سريعًا، ثم يسأل في وقت غير متوقع عن أخيه. وقد يظهر عليه الغضب أو التعلق الشديد بوالديه أو صعوبة الانفصال عنهما. لا تكفي ملاحظة واحدة للحكم على حاله؛ الأهم الانتباه إلى التغيرات المستمرة، وإتاحة الحديث، وطلب مساعدة متخصصة إذا أثرت الصعوبات بوضوح في حياته أو سلامته.

ويفيد الحفاظ على ما يمكن من الروتين: وقت النوم، والمدرسة، والوجبات، والأشخاص الذين يتولون رعايته. عندما تتبدل أشياء كثيرة، تمنح التفاصيل المتوقعة قدرًا من الاستقرار. وإذا احتاج الوالدان إلى مساعدة الأقارب، فمن الأفضل شرح الترتيب للطفل: من سيأخذه، وأين سيبقى، ومتى يعود، حتى لا يبدو انتقاله المفاجئ دليلًا على أن خسارة أخرى تقترب.

ولا ينبغي تكليفه بتعويض غياب أخيه أو حماية والديه من الحزن. عبارات مثل «لم يبق لنا غيرك» قد تضع عليه ضغطًا شديدًا، حتى لو قيلت بدافع المحبة. من حقه أن يحتاج إلى الرعاية وأن يخطئ ويتعلم ويختلف. اختزال دوره في إسعاد الأبوين يمكن أن يجعله يخفي مشاعره ومشكلاته خوفًا من إضافة تعب جديد إليهما.

وتستحق المقارنات مع الطفل الراحل انتباهًا خاصًا. عندما تتحول ذكراه إلى صورة مثالية تُستدعى عند كل خلاف، قد يشعر الأخ الباقي بأنه ينافس شخصًا لا يمكنه مجاراته. يمكن حفظ الصفات الجميلة للغائب من دون استخدامها لتقويم الآخرين. لكل طفل مزاجه وقدراته، والعدالة داخل الأسرة تقتضي أن يُرى الموجودون بأسمائهم، لا بوصفهم امتدادًا لمن فقدوه.

وقد تدفع الخشية من خسارة ثانية إلى تقييد حركة الأبناء بصورة واسعة. تتضاعف الاتصالات، ويُرفض الخروج، ويصبح كل تأخر سببًا للذعر. يحتاج الوالدان هنا إلى دعم يساعدهما على الفصل بين الاحتياطات المناسبة وخوف لا يستطيع أن يجد حدًا كافيًا. الهدف حماية الأطفال مع استمرار تعلمهم واستقلالهم التدريجي، لا جعل البيت المكان الوحيد الذي يُسمح لهم بالوجود فيه.

وللمدرسة دور عملي يبدأ بالتواصل مع شخص محدد يعرف ما حدث ويحفظ خصوصية الطالب. يمكن الاتفاق على ما يُقال للمعلمين، وكيفية التعامل مع الغياب أو ضعف التركيز، وما إذا كان الطفل يرغب في أن يعرف زملاؤه. لا يحتاج إلى إعلان قصته أمام الصف أو إعفائه من كل شيء بلا مراجعة؛ يحتاج إلى مرونة مدروسة تحمي كرامته وتبقيه متصلًا بالتعلم.

ويواجه المراهق وضعًا مختلفًا؛ فقد يلجأ إلى أصدقائه أو يرفض الحديث العائلي، ويبدو انشغاله بالهاتف مستفزًا للكبار. قبل تفسير ذلك بوصفه لامبالاة، ينبغي فتح باب حوار يحترم عمره وحدوده. وقد يرتاح للحديث مع شخص آخر يثق به. المهم ألا تتحول الحاجة إلى الخصوصية إلى انقطاع كامل يمر من دون انتباه.

كما ينبغي إشراك الإخوة، بحسب أعمارهم ورغبتهم، فيما يتعلق بالذكرى والمقتنيات. قد يريد أحدهم الاحتفاظ بكتاب أو صورة، وقد لا يرغب آخر في المشاركة الآن. السؤال يمنحهم موقعًا داخل تجربة الأسرة بدل تركهم متفرجين عليها. ومن حقهم تغيير رأيهم لاحقًا؛ فهم يكبرون، ويتغير فهمهم للفقد، وقد تظهر أسئلة جديدة في مراحل لم تكن واضحة لهم من قبل.

للمواساة آدابها

تعرف المجتمعات كيف تتجمع عند المصاب، لكنها تحتاج أيضًا إلى معرفة ما الذي تقوله وما الذي تتركه لأصحابه. ليست كل عبارة متداولة مريحة لمجرد أنها مألوفة. فالحديث عن وجود أبناء آخرين، أو إمكان الإنجاب، قد يصل إلى الوالدين بوصفه تقليلًا من فرادة طفلهما. وما يُقصد به فتح باب الأمل قد يغلق باب الكلام إذا شعر المفجوع بأن عليه الدفاع عن حزنه.

ولا يحتاج الزائر إلى تفسير كل ما حدث. يستطيع الاعتراف بأنه لا يعرف ما يخفف الألم، وأن يعرض حضورًا أو مساعدة محددة. الصمت المتفهم ليس عجزًا في المواساة؛ قد يكون أنسب من حوار يملؤه الزائر خوفًا من ارتباكه الشخصي. الأهم ألا يُطلب من أصحاب المصاب أن يطمئنوه أو يشكروه على كلام لم يجدوا فيه راحة.

وتشمل آداب المواساة تجنب استجواب الأسرة عن التفاصيل. كيف حدثت الوفاة؟ من كان حاضرًا؟ ماذا قال الطبيب؟ أسئلة قد تُجبر الوالدين على تكرار وقائع مؤلمة بلا غرض يساعدهما. إذا أرادا الحديث، يمكن الاستماع، لكن حقهما في الخصوصية قائم حتى مع الأقارب. القرب الاجتماعي لا يمنح صاحبه حق معرفة كل ما وقع في المستشفى أو البيت.

كما أن المقارنة بمن فقد أكثر لا تقدم معيارًا نافعًا للتحمل. لا تُخفف خسارة طفل بتذكير والديه بخسارة عائلة أخرى، وقد يشعران بدلًا من ذلك بأن التعبير عن ألمهما مبالغة. يمكن أن تمنح تجارب الآخرين سندًا إذا طلباها، لكن تحويلها إلى منافسة في المصائب يحجب الشخص

الجالس أمامنا، ويجعل الحديث عن قدرته المفترضة بدل حاجته الفعلية.

ويمثل الإيمان مصدر طمأنينة لكثير من الأسر، من خلال الدعاء والقرآن والزيارة والرجاء بالرحمة. وفي النجف الأشرف، حيث تتصل الحياة العامة بذاكرة دينية واسعة، يمكن لهذا الحضور أن يمنح المفجوع لغة يجد فيها ما يصعب قوله. غير أن أثره يرتبط بالرفق في تقديمه، وبالتمييز بين مرافقة الإنسان روحيًا ومطالبته بإظهار استجابة معينة.

لا تُقرأ الدموع بوصفها دليلًا على ضعف الإيمان، ولا يصبح الهدوء شهادة نهائية على الرضا. المشهد الخارجي لا يكشف كل ما في النفس. يستطيع الخطاب الديني الرحيم أن يفسح مكانًا للاشتياق والحزن، وأن يذكّر بالرحمة من دون مساءلة المفجوع عن سرعة احتماله. ويكون رجل الدين أو الواعظ أقرب إلى الناس حين يسمع أسئلتهم قبل تقديم الأجوبة.

وقد يحتاج الأهل إلى من يناقش معهم شعورًا بالذنب الديني أو تصورًا بأن المصاب عقوبة شخصية. التعامل مع هذه المخاوف يستلزم علمًا وحساسية، لا عبارات تزيد الاتهام أو الخوف. ومن غير المنصف أن يُحمّل الوالدان تفسيرًا غيبيًا يجزم به قريب أو زائر من عنده. للمواساة حدود، وأحدها ألا تتحول إلى سلطة على ضمير الإنسان ومعتقده في ساعة ضعفه.



وتحتاج وسائل التواصل إلى آداب لا تقل أهمية عن آداب الزيارة. نشر صورة الطفل، أو مقطع من جنازته، أو تسجيل انفعال والديه، يتطلب موافقة واضحة. لا يكفي أن يكون الناشر قريبًا أو أن يقصد الدعاء؛ فالمادة قد تنتشر خارج السياق، وتبقى متاحة للأسرة في أوقات لم تختر مواجهتها فيها. ويمكن التعبير عن التضامن من دون تحويل الحزن الخاص إلى محتوى عام.

أما الرسائل، فالأفضل أن تكون قصيرة وواضحة ولا تفرض ردًا. تكرار الاتصال ثم العتاب على عدم الإجابة يضيف واجبًا اجتماعيًا إلى يوم مرهق. ويمكن الاتفاق مع شخص قريب من الأسرة على نقل الاحتياجات العملية إذا رغبت. بذلك يصل الدعم من دون أن تضطر الأم أو الأب إلى إعادة الشرح لكل من يريد المساعدة.

وتنجح العروض المحددة أكثر من العبارات المفتوحة. إحضار وجبة، أو توصيل طفل إلى المدرسة، أو إنجاز مراجعة بتفويض، أمور يسهل قبولها أو رفضها. أما «اطلبوا أي شيء» فتترك للأسرة مهمة تنظيم المساعدة نفسها. ينبغي كذلك الوفاء بما يُعرض؛ فالاعتماد على وعد لا يتحقق قد يربك يومًا بالكاد استطاع أصحابه ترتيبه.

وتبرز أهمية الاستمرار بعد انحسار الزيارات. ليس مطلوبًا حضور يومي، بل صلة يمكن الوثوق بها: اتصال مناسب، وسؤال بلا استعجال، وتذكر موعد يهم



الأسرة. وإذا اعتذرت عن لقاء، يمكن إبقاء الدعوة مفتوحة من دون ضغط. الانسحاب الكامل بسبب الحيرة يترك فراغًا، بينما الحضور المرن يسمح للعلاقة بأن تتكيف مع قدرة أصحابها.

وهنا يتسع دور المؤسسات الدينية والاجتماعية والثقافية إلى نشر فهم أكثر دقة للفقد. يمكنها تدريب العاملين في خدمة الناس على الاستماع واحترام الخصوصية، وتعريف الأسر بجهات مساعدة موثوقة عندما تتوفر. أما تقديم مجالس عامة تُطلب فيها الشهادات الشخصية أو تُعرض فيها قصص المفجوعين بلا ضوابط، فقد يحقق اهتمامًا عابرًا على حساب راحة من يُفترض مساندتهم.

سند يتجاوز الكلام

تصل المعاناة إلى العمل والمال والصحة، وهي مجالات لا تعالجها المواساة اللفظية وحدها. قد تكون الأسرة قد أنفقت مدخراتها على العلاج، أو تعطلت مصادر دخلها، أو تراكمت عليها التزامات لم تعد تملك طاقة لمتابعتها. لذلك ينبغي أن تُفهم ظروفها المادية من دون افتراض أن الحزن يعفيها تلقائيًا من مطالب الحياة أو يوفر لها وقتًا غير محدود.

ومن المهم أن تُقدم المساعدة المالية بكرامة، وبالاتفاق مع أصحابها، لا عبر إعلان تفاصيلهم أو تصوير تسليم المعونة. قد تكون تسوية التزام محدد أنفع من جمع تبرعات عامة، وقد ترفض الأسرة عرضًا وتقبل آخر. الحاجة لا تلغي حق الاختيار، وحماية السمعة والخصوصية جزء من جودة المساعدة، وليستا أمرين ثانويين يمكن تأجيلهما بحجة الاستعجال.

وعند العودة إلى الوظيفة، يواجه الأب أو الأم توقعًا غير معلن بأن الحضور يعني استعادة القدرة السابقة. لكن الوصول إلى المكتب لا يضمن سهولة التركيز أو تحمل الاتصالات والمهام. يمكن للإدارة أن تسأل على انفراد عن الترتيبات الممكنة، وأن تراجع عبء العمل مؤقتًا بحسب طبيعة الوظيفة، بدل ترك الموظف بين الصمت الكامل والمراقبة المتواصلة.

ويحتاج الزملاء إلى معرفة حدود مناسبة للتعامل. تعزية مختصرة، واحترام ما يختار الموظف مشاركته، وتجنب تكرار الأسئلة أمام الآخرين، قد تجعل المكان أكثر احتمالًا. وإذا احتاج إلى استراحة قصيرة، فلا ينبغي تحويلها إلى واقعة للنقاش. في المقابل، يظل التواصل الواضح بشأن المسؤوليات ضروريًا، حتى لا تتراكم مشكلات عملية يمكن تداركها باتفاق مبكر.

وتظهر فجوة أكبر لدى العاملين بأجر

يومي وأصحاب الأعمال الصغيرة، ممن لا يستطيعون تحمل انقطاع طويل. هؤلاء قد يعودون سريعًا بدافع الضرورة، فيُساء فهم عودتهم على أنها علامة على خفة التأثر. النظر إلى ظروف العمل يغير هذا الحكم، ويفتح مجالًا لمساندة عملية تتيح بعض الوقت أو تخفف التزامًا، بدل الاكتفاء بتقييم السلوك من الخارج.

ويحتاج الجسد إلى انتباه مستقل. قد يصاحب الحزن اضطراب في النوم أو الشهية أو الطاقة، لكن ظهور عرض جسدي جديد أو شديد يستحق تقييمًا طبيًا، ولا يصح ردّه تلقائيًا إلى الحالة النفسية. كذلك قد يهمل المفجوع علاجًا كان يتناوله أو مراجعة يحتاجها. يمكن لقريب أن يذكّره أو يرافقه إذا وافق، من دون تحويل العناية إلى رقابة خانقة.

أما المساعدة النفسية، فلا ينبغي تأجيل التفكير فيها حتى تصل الأسرة إلى أزمة، ولا فرضها بوصفها حكمًا على سلامة حزنها. يمكن طلب استشارة لفهم ما يحدث، أو معالجة صعوبة محددة، أو دعم العلاقة الزوجية والأطفال. وجود مختص لا يعني أن الأسرة فشلت في الاحتمال، كما أن دوره لا يقوم على إقناعها بأن ما فقدته لم يعد مهمًا.

ويختلف الحزن الطبيعي، مهما كان مؤلمًا، عن حالات تحتاج إلى تقييم وعلاج متخصصين. لا يُحسم ذلك بطول المدة وحده، بل بالنظر إلى شدة الأعراض وتأثيرها في الوظائف الأساسية والسياق الثقافي والاجتماعي. لذلك لا ينبغي للأقارب تشخيص الأم لأنها ما زالت تبكي، أو الاطمئنان المطلق إلى الأب لأنه لا يتحدث. المظهر الواحد لا يكفي لفهم الحالة.

إذا استمرت صعوبة شديدة في النوم أو الأكل أو أداء الاحتياجات الأساسية، أو أصبحت المعاناة تعطل الحياة بوضوح، فالتواصل مع مختص خطوة مناسبة. وقد يحتاج الشخص إلى مساعدة في ترتيب الموعد والوصول إليه أكثر مما يحتاج إلى الإقناع النظري بفائدته. وعندما توجد أفكار بإيذاء النفس أو عجز عن البقاء بأمان، تكون الأولوية لمساعدة عاجلة عبر الطوارئ أو أقرب مستشفى، مع حضور شخص موثوق.

وقد تناسب مجموعات المساندة بعض الأهل، خصوصًا حين توفر لقاءً محترمًا مع أشخاص يعرفون تجربة مشابهة. لكنها ليست خيارًا إلزاميًا، ولا بديلًا تلقائيًا عن الرعاية المهنية. قيمة المجموعة في الأمان والخصوصية وحرية المشاركة، لا في الضغط على الجميع للكلام أو اعتماد قصة عضو واحد نموذجًا يجب أن يسير الآخرون وفقه.

وثمة حاجة إلى تحسين التعامل مع

الأسر منذ المؤسسة الصحية نفسها. طريقة إبلاغ الخبر، وإتاحة وقت للأسئلة، وتوضيح الإجراءات، وتحديد جهة يمكن الرجوع إليها لاحقًا، كلها أمور تستحق العناية. عندما يغادر الوالدان بمعلومات متناقضة أو أسئلة لم يسمعها أحد، قد يحملان ارتباكًا إضافيًا إلى البيت. التواصل الإنساني الجيد لا يغير النتيجة، لكنه يمنع أذى يمكن تجنبه.

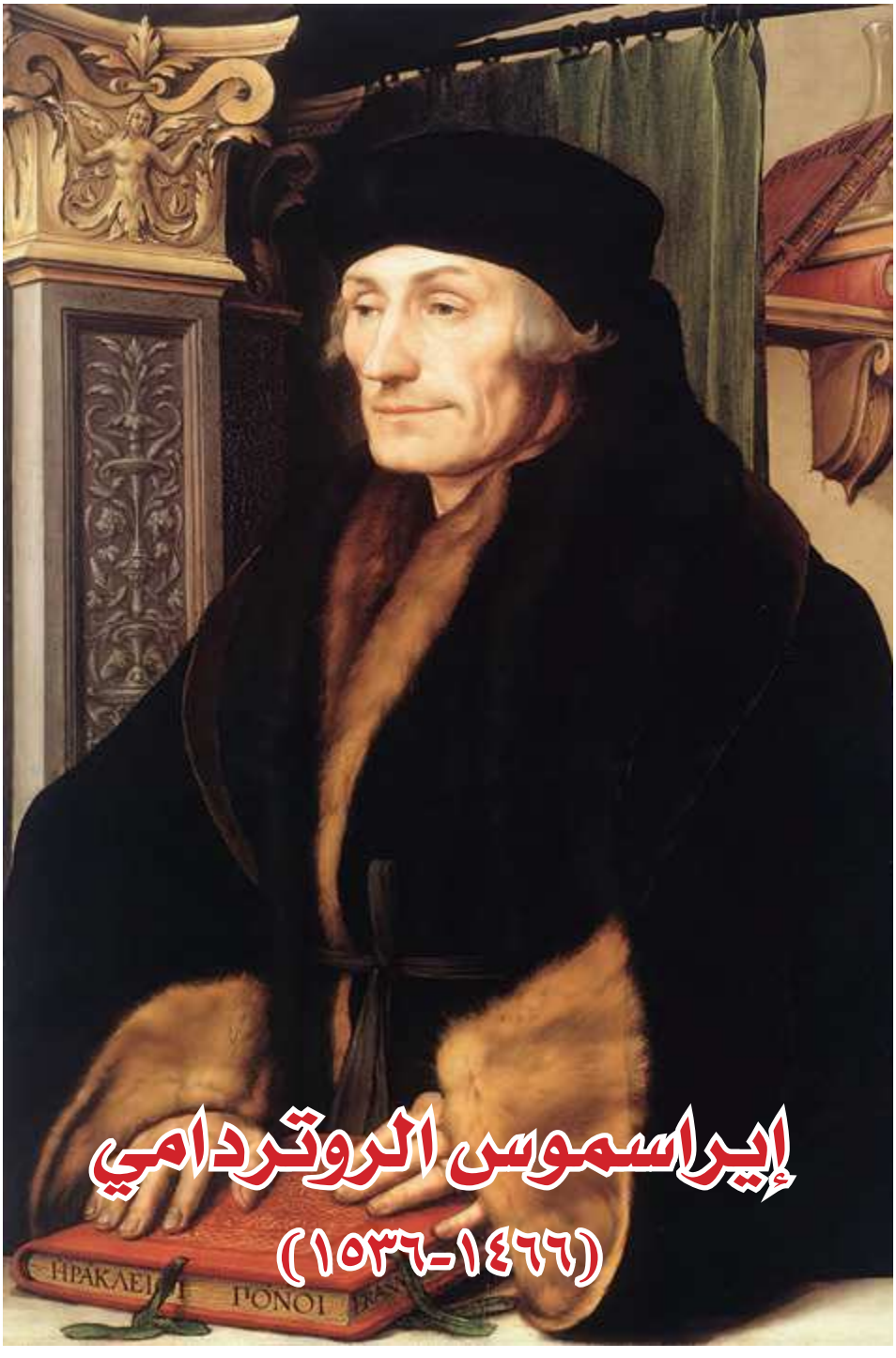
ويمتد الأمر إلى المدرسة والدوائر الخدمية وسائر الجهات التي تتعامل مع الأسرة. من الممكن تقليل الحاجة إلى تكرار الواقعة، وصون المعلومات، وتقديم شرح واضح للمتطلبات، ومساعدة من يجد صعوبة في المتابعة. هذه ليست مجاملات استثنائية، وإنما طريقة أكثر احترامًا لتقديم الخدمة إلى أشخاص يمرون بظرف شديد الحساسية.

أما استعادة القدرة على تدبير اليوم، فقد تبدأ بأمور لا تبدو كبيرة لمن يراقبها: إعداد وجبة، أو إنهاء معاملة، أو الخروج في موعد اختاره الشخص بنفسه. لا تحتاج الأسرة إلى قائمة إنجازات تقاس عليها، لكن الانتباه إلى ما أصبح ممكنًا يساعدها في معرفة احتياجاتها الفعلية. فقد تحتاج في مرحلة إلى من يرافقها، ثم ترغب لاحقًا في القيام ببعض الأمور وحدها.

وعلى المساندين أن يقبلوا هذا التغير. من اعتمد على قريب في الأسابيع الأولى قد يستعيد رغبته في الخصوصية، ومن رفض الحديث قد يطلبه بعد أشهر. لا يعني ذلك جحودًا أو تناقضًا؛ العلاقة المفيدة تسمح بتعديل الدور. وقد يكون أفضل ما يقدمه شخص وفيّ أن يسأل من جديد بدل الاستمرار في نوع من المساعدة لم يعد مطلوبًا.

ويبقى للطفل اسم يتجاوز ملف الوفاة. يمكن أن تتسع الأحاديث عنه، عندما يرغب أهله، لتشمل طباعه واهتماماته ومواقفه اليومية، فلا تختزل سيرته في مرضه أو ساعاته الأخيرة. هنا تأتي قيمة من عرفه خارج البيت: معلم يتذكر سؤالًا له، أو قريب يحتفظ بقصة صغيرة، أو صديق يروي موقفًا. تُعرض هذه الذكريات برفق، من دون مباغتة أو افتراض أن وقت سماعها مناسب دائمًا.

لعل أكثر ما يحتاجه الأهل من محيطهم، بعد كل ذلك، ألا يتصرف بالنيابة عنهم فيما يشعرون به. أن يسأل قبل أن يرتب، ويستأذن قبل أن ينشر، ويستمع قبل أن يفسر، ويساعد من دون أن يطالب بنتيجة سريعة. بهذه الأفعال المحددة تصبح الرحمة سلوكًا يمكن لمسه في يوم ثقيل، ويجد الأب والأم من يقف إلى جوارهما وهما يتعلمان، خطوة خطوة، كيف يعيشان هذا اليوم.


إيراسموس الروتردامي
(١٤٦٦-١٥٣٦)

أمير الإنسانيين وسيف السخرية الناقد وجسر العقل بين عصرين

بقلم: موفق هاشم

في التخوم الغائمة الفاصلة بين أفول القرون الوسطى المظلمة وبزوغ فجر النهضة الأوروبية، لم تكن الشرر الأولى للتحول تنطلق دائمًا من صهيل خيول الفرسان ولا من مطارق الثوار المتطرفين، بل من صرير ريشة ناعمة يُحركها حبرُ حكيم عاش غريبًا ومات فريداً. في ذلك الزمن الذي احترقت فيه العقول على مذَابح التعصب، وصارت اللاهوتيات أسوارًا شاهقة تعزل الإنسان عن وطنه الروحي والعقلي، برز رجلٌ لم يحمل سيفًا ولم يرتدِ مئزر الثوار، بل اتخذ من السخرية الأنيقة والمعرفة الصافية دواءً لأدواء عصره، إنه ديزيديداريوس إيراسموس الرتردامي أمير الإنسانيين بلا منازع، وصاحب الصوت الذي نادى بالحرية والسلام حين كان العالم كله يندفع نحو حافة الهاوية.

كان إيراسموس تجسيدًا أسطوريًا للمثقف العابر للحدود والقوميات، الرجل الذي رفض أن يسجن عقله في صومعة دير، أو أن يرهن قلمه لسلطان بابا أو ملك أو مصلح راديكالي، استطاع عبر كتاباته وسخريته المبتكرة أن يخلخل أركان المؤسسة الكنسية المتصلبة دون أن يهدم سقوفها على رؤوس قاطنيها، وأن يفتح النوافذ لتستنشق أوروبا هواء الفلسفة اليونانية والبيان اللاتيني الشفيف.

لم تكن ولادة إيراسموس في مدينة روتردام الهولندية عام ١٤٦٦ سوى بداية لسلسلة من التراجيديات الاجتماعية؛ فقد جاء إلى هذا العالم كابن غير شرعي لقسّ

كاثوليكي وابنة طبيب محلي، ظل هذا الوسم الاجتماعي يلاحقه كظله في مجتمع قروسطي لا يرحم، غير أن الذكاء المتقد الذي ظهر عليه في سن مبكرة جعل والده يدفعه للتعليم الإنساني المبكر.

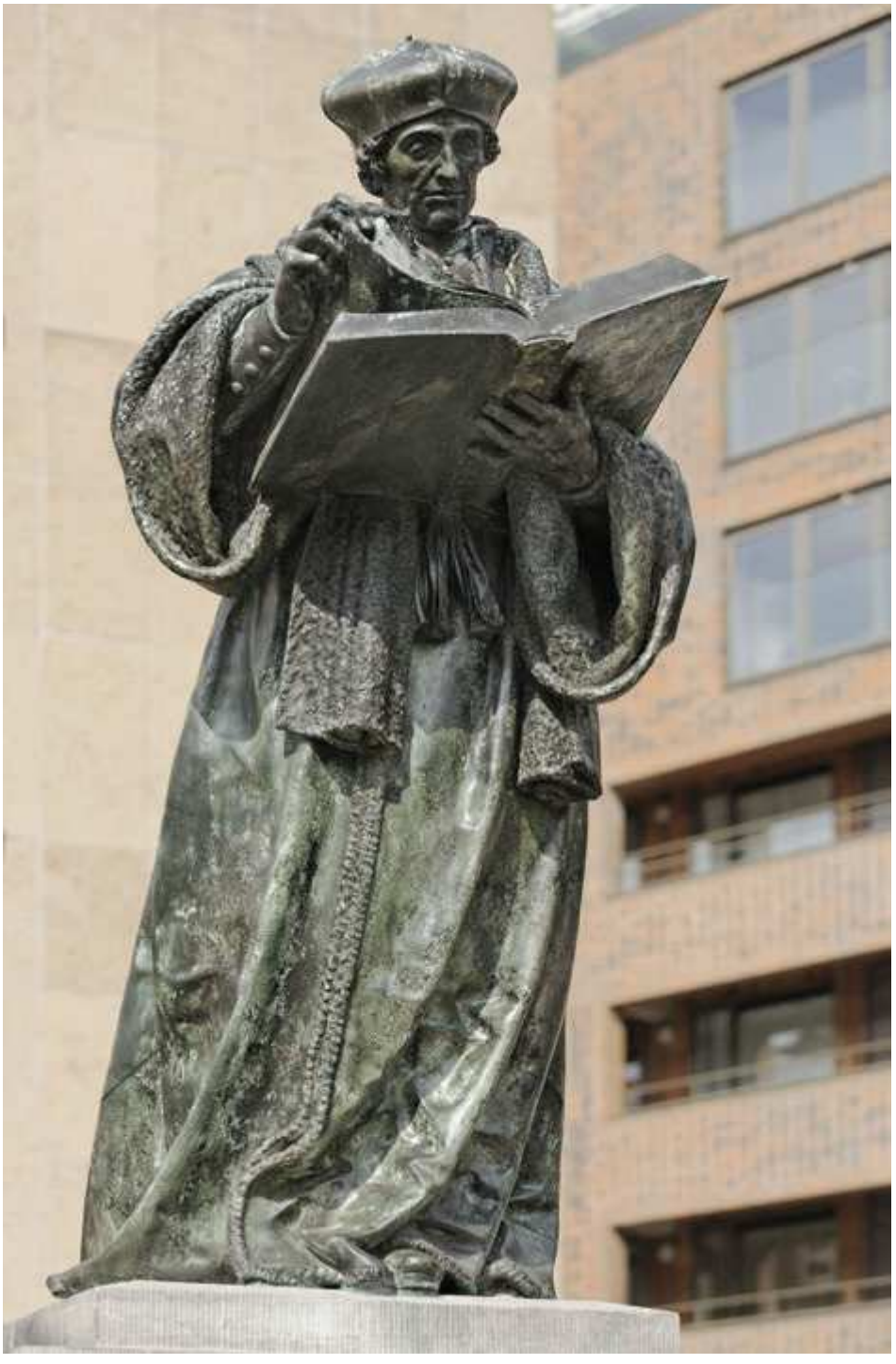
سرعان ما واجه إيراسموس اليتم الكلي وهو في مقتبل العمر بعد وفاة والديه بوباء الطاعون، وأمام جشع الأوصياء وقسوتهم، أجبر الفتى على دخول دير (ستاين) لرهبنة الأغسطينيين، هناك خلف الجدران العالية انغمس إيراسموس في قراءة التراث الكلاسيكي والشرائع الدينية، لكنه في الوقت ذاته استشعر خناق الجمود الكنسي؛ فقد كانت الرهبنة في نظره قد تحولت من تجربة روحية عميقة إلى مجموعة من الطقوس الميكانيكية والشكلية الخاوية!

جاء الفرج الفكري لإيراسموس عندما عُيّن سكرتيرًا لأسقف كامبريه، مما أتاح له التخلص من قيود الدير والسفر إلى باريس للدراسة في جامعتها الشامخة! لم تكن باريس سوى محطة في رحلة سندباد الفكر الأوروبي؛ إذ تنقل إيراسموس بين إنجلترا وإيطاليا وسويسرا وهولندا، مكوّنًا ما يُعرف في التاريخ بـ (جمهورية الرسائل) وهي شبكة نخب وعلماء تبادلوا الفكر واللغات القديمة بمعزل عن الصراعات السياسية.

في عام ١٥٠٩، وأثناء سفره على ظهر حصان متجهًا من إيطاليا إلى إنجلترا لينزل ضيفًا على صديقه الأثير السير توماس مور، اختمرت في ذهنه فكرة تحفة الأدب العالمي: وهو كتاب (مديح الحمق)! ويمثل المانفيستو الساخر الذي أربك جلاوزة عصره! في هذا النص البديع، يستعمل إيراسموس تقنية الأدب القناعي؛ حيث يجعل (الحمق – Folly) شخصية أنثوية تقف أمام الجمهور لتمتدح نفسها، وتثبت بالدليل القاطع أن كل مظاهر الحياة البشرية – من الحب والدبلوماسية وصولًا إلى الحرب والدين– تدار وتنظم بفضل وجودها!

وعبر سخريته في هذا الكتاب وجه إيراسموس ضربات قاتلة لشرائح المجتمع الأوروبي سواء كانوا رجال دولة أم رهبانًا، ودعا الى العودة الى البساطة في الإنجيل، وكان نقده هذا يتمحور حول ثلاث نقاط، وهي بحسب الآتي:

الجمود المدرسي (Scholasticism): سخر من الفلاسفة والمناطقة الذين يفنون أعمارهم في مناقشة قضايا بيزنطية عقيمة، من مثل: كم ملكًا يمكنه الرقص على رأس دبوس؟!



فساد المؤسسة الكنسية: هاجم الجشع وشراء المناصب الكنسية، وانتقد ابتزاز العامة بصكوك الغفران والرفات المزيفة، مؤكدًا أن التديّن تحول إلى تجارة طقوس بدلًا من تخلق بأخلاق الإنجيل.

طغيان الحكام والبابوات: انتقد البابوات الذين يرتدون الدروع ويقودون الجيوش لإراقة الدماء بدلًا من نشر السلام، مشيرًا إلى أنهم نسوا تمامًا تجرد المسيح وفقره!

ولم تكن سخرية إيراسموس سخرية سوداوية تهدم المجتمعات، بل كانت سخرية علاجية تهدف إلى وضع مرآة أمام الإنسان ليرى قبح تعصبه، فيعود إلى صوابه وعقله.

وإن كان (مديح الحمق) سيف النقد لإيراسموس فإن إنجازه العظيم الآخر كان تحقيق ونشر النص اليوناني للعهد الجديد عام ١٥١٦، مصحوبًا بترجمة لاتينية جديدة صاغها بنفسه، إذ كانت



الكنيسة الكاثوليكية لأكثر من ألف عام تعتمد اعتمادًا مطلقًا على ترجمة «الفولغاتا» (Vulgate) التي وضعها أحد القديسين القدماء! لكن إيراسموس عبر تسلحه بالمنهج الإنساني والفيولوجيا (علم اللغات القديمة) أثبت أن الفولغاتا مليئة بالأخطاء المترجمة التي بنيت عليها عقائد وطقوس كاملة.

ويورد مثالا يثبت به خطأ السابقين له، ففي إنجيل متى كانت الفولغاتا تترجم الكلمة اليونانية Metanoite إلى اللاتينية بـPoenitentiam agite أي: (افعلوا كفارة/توبة طقسية)، مما أعطى شرعية لكاهن الكنيسة أن يمنح الغفران ويفرض العقوبات المادية، وهنا أثبت إيراسموس أن الكلمة اليونانية الأصلية تعني ببساطة: (غيّروا عقولكم/توبوا بقلوبكم)!! وهذا الاكتشاف النصي لم يكن مجرد تصحيح لغوي، بل كان زلزالاً لاهوتياً؛ لأنه جرّد الكنيسة من احتكارها للتوبة وجعلها حالة قلبية بين العبد وربه، وهو ما اتخذه مارتن لوثر لاحقًا حجر زاوية لأطروحاته الشهيرة ضد صكوك الغفران.

ومع اندلاع حركة الإصلاح البروتستانتي عام ١٥١٧، سرعان ما انتشرت مقولة في أروقة أوروبا: (إيراسموس باض البيضة، ولوثر فقسها)، فقد رأى الجميع أن نقد إيراسموس الشديد للبابوية وترجمته للنص اليوناني هما اللذان عبّدا الطريق لزلزال لوثر، غير أن العلاقة بين الرجلين سرعان ما تحولت إلى دراما فكرية من أعنف درامات التاريخ، إذ كان الأول وهو إيرامسوس يختلف في الأسلوب والمنهج عن لوثر، فإصلاحه إصلاح تدريجي عقلاني عبر التعليم والإنسانيات والنقد الساخر، وكان يميل إلى البقاء داخل الكنيسة الكاثوليكية وإصلاحها من الداخل تجنبًا للانشقاق، أما لوثر فكان إصلاحه ثورة راديكالية قطعية ترفض المساومة وتبتر العلاقة مع روما، ومال الى الانفصال الكامل وإعلان البابوية مؤسسة معادية للمسيح.

وعندما اشتد الصراع بين الإصلاحيين والكنيسة الرومانية حاول لوثر استمالة إيراسموس ليقود الثورة معه، لكن إيراسموس رفض الانضمام للمعسكرين، وكتب إيراسموس إلى لوثر قائلاً: «إنني أفضّل الاعتدال والهدوء على الشطط والحماسة، إن السلام والوحدة هما جوهر الدين المسيحي»، وهنا رد عليه لوثر بعنف واصفًا إياه بالجبن والذبذبة، بينما هاجمه المحافظون في روما واتهموه بالهرطقة! تحول إيراسموس إلى غريب في المعسكرين، لكنه أصرّ على موقفه



الشجاع: أن تكون بيضة الإنسانية أثمن من شظايا القنابل الدينية.

وفي عام ١٥٢٤ أخرج إيراسموس أطروحته الفلسفية الكبرى (في حرية الإرادة) ليضع حدًا لربطه بفكره البروتستانتي، ففي هذه الرسالة دافع إيراسموس عن كرامة الإنسان وعقله، مؤكدًا أن الله خلق الإنسان حر الإرادة، وأنه قادر على الاختيار بين الخير والشر والتعاون مع النعمة الإلهية، وكان إيراسموس يرى أن تجريد الإنسان من حرية إرادته (كما ذهب لوثر وكالفن لاحقاً) يحول الله إلى ظالم يُعاقب مخلوقات لا تملك خياراً، ويحول الإنسان إلى مجرد دمية مسلوبة الإرادة. وقد رد عليه مارتن لوثر بكتابه الشهير (في العبودية المختارة للإرادة)، لتتحدد بذلك إحدى أكبر المفاصل الفلسفية بين التيار التنويري الإنساني (الذي استمر مع عصر الأنوار) والتيار اللاهوتي الراديكالي.

توفي إيراسموس في مدينة بازل السويسرية عام ١٥٣٦، وكانت كلماته الأخيرة باللغة الهولندية: «يا إلهي الحبيب»، ومات دون أن يحصل على الطقوس الأخيره من كاهن كاثوليكي، ودون أن يتبع كنيسة بروتستانتية، ميتة تليق برجل عاش حرًا طليقاً.

ترك إيراسموس بصمات ناصعة على جدار الحضارة الغربية، إذ قام بتأسيس النزعة الإنسانية (Humanism) ونقل الفكر الأوروبي من الهوس بالماورائيات والجدل القروسطي إلى الاهتمام بالإنسان، وحريته، وتربيته الأخلاقية. ويعد رائد التسامح الديني؛ إذ يمثل إيراسموس الصوت الأول في الغرب الحديث الذي نادى بالحرية الفكرية ورفض إعدام الهرطقة، ممهدًا الطريق لسبينوزا وفولطير ولجون لوك. كما قاد ثورة في المناهج التربوية، وصاغ كتبًا تعليمية وقواميس باللاتينية واليونانية أصبحت أساس المدارس والجامعات الأوروبية لقرون طويلة.

لم يكن إيراسموس الرتردامي مجرد عالم لاهوت أو أديب ساخر؛ بل كان ضمير أوروبا في لحظة جنونها الكبرى. في عالم أراد أهله تقسيم الشقاق إلى أبيض وأسود، بينما اختار هو المنطقة الوسطى المضيئة، منطقة العقل والسلام والتسامح. ولقد أثبت إيراسموس أن الثورة الحقيقية ليست هي التي تسفك الدماء لتبني معابدس جديدة، بل هي التي تضيء العقول بالمعرفة وتسخر من الجهل لتعيد للإنسان إنسانيته، وبذلك ظل إيراسموس حاضرًا في كل نداء يرفع رأس العقل فوق ركام التعصب والأيدولوجيا.

الحلقة السادسة

تناغم الحضارة الإسلامية مع الحضارات الأخرى

الفلك

المهندس الاستشاري تحسين عمارة

في الجاهلية كانت لديهم معرفة علمية واسعة بالنجوم، لكن لم يكن لهم شيء من علم الهيئة الحقيقي، ثم احتاج المسلمون إلى بعض المعلومات الفلكية لأمور الدين (القبلة، وقت الصلاة، هلال رمضان)

ورصدوا بعض النجوم وحركتها وأحكامها وعلاقتها بحوادث العالم من حيث الحظ والحرب والسلم والمستقبل وكانوا يسمون ذلك علم التنجيم، ولم يمنع الخلفاء ولا سيما العباسيون في بادئ الأمر أن يعتنوا به ويستشيروا المنجمين في كثير من أحوالهم عندما يخافون من عاقبة عمل الذين ينظرون في حالة الفلك ثم يسيرون بمقتضى ذلك، وكذلك معالجة بعض الأمراض. (تاريخ التمدن الإسلامي٣/١٩٠)

(الصورة الأولى/ صور الأفلاك الأثني عشر رسمت على طبق للملك المعز الأيوبي القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي)



الصورة: الأولى


الصورة: الثانية

المراصد

لا شك ان الغرب لم يصلوا بعلم الفلك إلى ما وصلوا إليه إلا بفضل المراصد، الثابت أن أول مرصد بني على جبل قاسيون في دمشق بالعهد العباسي، وفي الشماسية ببغداد، ثم انشئت عدة مراصد في أنحاء مختلفة من البلاد الإسلامية،فلقد ابتنى بنو موسى مرصدا في بغداد على طرف الجسر، وانشأ الفاطميون على جبل المقطم مرصدا، ولعل مرصد مراغه الذي بناه نصير الدين الطوسي من أشهر المراصد وأكبرها. **(الصورة الثانية)**

وقد اشتهر بآلاته الدقيقة وتفوق المشتغلين فيه. **(الصورة الثالثة / نصير الدين الطوسي مع المشتغلين معه يراقبون السماء من خلال الأسطرلاب في مرصد مراغه)**


الصورة: الثالثة

وهناك مراصد أخرى كمرصد ابن الشاطر بالشام، ومرصد الدينوري بأصبهان ومرصد البيروني والمرصد الذي قام ببنائه حفيد تيمورلنك الغ بك بسمرقند. **(الصورة الرابعة)**



الصورة: الرابعة

آلات الرصد

كان للرصد آلات وهي على أنواع وتختلف بحسب الغرض منها، وقد وضع عبد الرحمن الخازن (ت:٥٥٠هـ/١١٥٥م) كتابا سماه: (كتب الآلات العجيبة)، كما ألف غياث الدين جمشيد (ت:٨٣٢هـ/١٤٢٩م) رسالة (فارسية) في وصف بعض الآلات، وأتى تقي الدين الراصد (ت:٩٩٣هـ/١٥٨٥م) على ذكر الآلات التي اخترعها هو.

(الصورة الخامسة / منمنمة عثمانية لآلة فلكية من القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي، في مكتبة جامعة اسطنبول)

لكننا سنتحدث هنا عن أعظم الآلات وهي:

١ ـ الأسطرلاب: كلمة يونانية أصلها: الأسطر لابون، من (اسطر) وتعني: النجم، و(لابون) وتعني: المرآة، ويقال ان أصله بابلي. (علم الفلك عند العرب).

أقدم كتاب عربي في الاسطرلاب كتبه ما شاء الله المنجم (في القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي)، أما أقدم جهاز موجود منه يعود إلى القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي وهو من صنع أصفهان.

في متحف اللوفر بباريس يوجد ثالث أقدم اسطرلاب بالعالم يمثل


الصورة: الخامسة


الصورة: السابعة


الصورة: السادسة

القبة السماوية في أصفهان عام ٥٣٨هـ/١١٤٤م **(الصورة السادسة)**

وأطلقت الكلمة على عدة آلات فلكية تنحصر في ثلاثة أنواع رئيسية بحسب ما إذا كانت تمثل مسقط الكرة السماوية على سطح مستوٍ أو مسقط هذا المسقط على خط مستقيمٍ أو الكرة بذاتها بلا أي مسقط ما. (دائرة المعارف الإسلامية٣/١١٤)

(الصورة السابعة / اسطرلاب كروي)

أما أجزاء الاسطرلاب فقد ذكرها بشكل مسهب الأستاذان بشير فرنسيس وناصر النقشبندي في مقالة بعنوان: (الأسطرلابات في دار الآثار العربية في بغداد) نشرتها مجلة سومر المجلد ١٣ الجزء الأول والثاني سنة ١٩٥٧ أنقلها بتصرف ويمكن تتابع ذلك مع الصورة **(الصورة الثامنة)**:

الفرس: الداخل في القطب الممسك له.

الشبكة: أو العنكبوت وهي الشبكة ذات الخروق والنتوءات التي تعين بعض الكواكب، وفيها دائرتان الكبرى مدار الجدي، والصغرى مدار السرطان، وعليها البروج الاثنا عشر.

الصفائح: أقراص مستديرة عددها يختلف مع كل اسطرلاب.

أم الصفائح: أو أم الاسطرلاب، الصفيحة الكبرى ذات الطوق الجامع للصفائح.

الكرسي: ما بين العروة وأم الصفائح.

العروة: المتصلة بالحلقة والكرسي.

الحلقة: التي علق الاسطرلاب بها لأخذ الارتفاع والرصد.

العضادة: الساق المتحركة على ظهر الاسطرلاب وفيها شطبتان مثقوبتان (فرضة وشعيرة) يؤخذ منها الأبعاد والمرتفعات. أخذها الغرب وأطلق عليها (Alidade) لعدم وجود حرف العين والضاد في لغتهم.

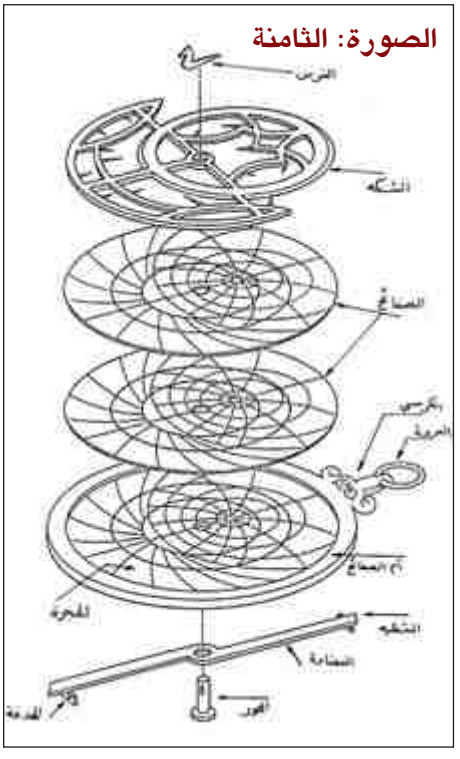
المحور: القطب المسك للصفائح والشبكة من ثقوب في مراكزها.

ولتوضيح عمل الأسطرلاب يمكن ملاحظة ذلك من خلال الصورة المرفقة **(الصورة التاسعة)**

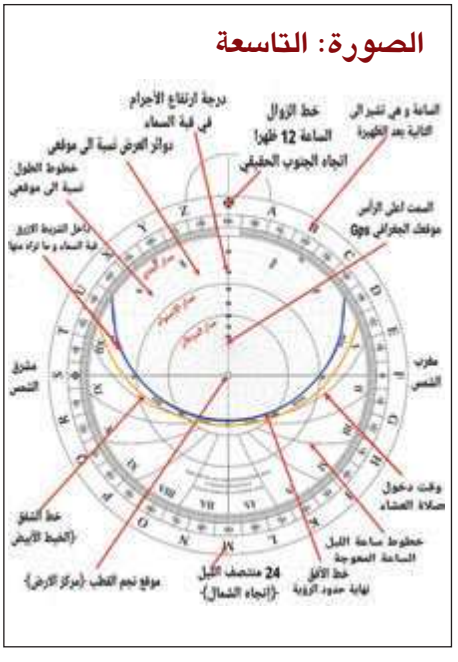
والصورة التالية تمثل اسطرلاب صنع في الأندلس القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي **(الصورة العاشرة)**

٢. ذات الحلق: من أجهزة الفلك الآلات التي تم استخدامها في الرصد ومنها ذات الحلق وهي أعظم الآلات هيئة ومدلولا ذو شكل كروي يحوي خمس

الصورة: الثامنة



الصورة: التاسعة



الصورة: العاشرة



دوائر نحاسية احداها لنصف النهار وهي مركوزة على الأرض واخرى لمعدل النهار، وثالثة لمنطقة البروج والرابعة لدائرة الميل والدائرة الشمسية التي يعرف بها سمت الكواكب (فوات الوفيات٢/ ٢٥٠) وكانت تصنع من الخشب كما في الصورة المرفقة من مخطوط شاهنشاه نامه القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميبلادي) (الصورة الحادية عشرة)

٣ـ الاسطرلاب الخطي: أو عصا الطوسي اخترعه العالم المسلم شرف الدين بن محمد الطوسي (ت: ٦١٠هـ/١٢١٣م) وذلك بصنع عصا من الخشب مدرجة يعادل طولها ١٨٠ درجة ويمثل خط منتصف النهار (خط الطول للأرض) يتدلى من العصا ثلاثة خيوط الخيط الأول من منتصفها هو مسقط القطب الشمالي والخيط الثاني عن أحد طرفيها يمثل ميل دائرة الأفق، والخيط الثالث عند الطرف الآخر سائب الحركة. وهذه الآلة تعتبر سبقًا علميًا في مجال الهندسة الوصفية التي يدرسها طلاب كلية الهندسة في أيامنا الحاضرة. (الصورة الثانية عشرة)



الصورة: الحادية عشرة

الصورة: الثانية عشرة



علماء الفلك

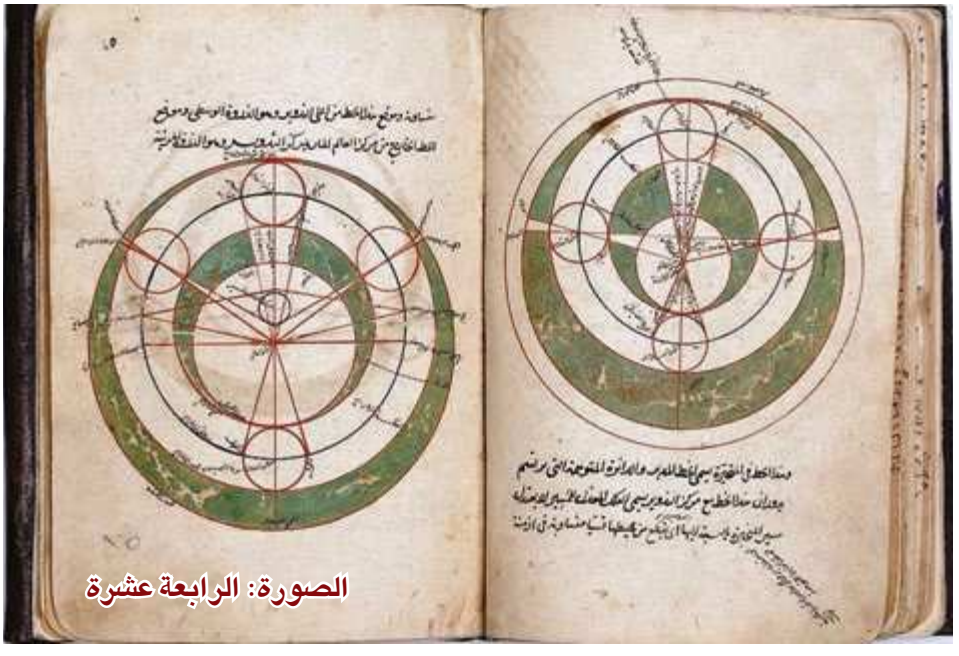
بالجملة العلماء المسلمون لهم فضل كبير على علم الفلك، لأنهم نقلوا الكتب الفلكية عند اليونان والفرس والهنود


الصورة: الثالثة عشرة

والكلدان والسريان وصححوا بعض أغلاطها وتوسعوا فيها، وهذا عمل رائع وجليل جدًا لا سيما إذا عرفنا أن أصول تلك الكتب ضاعت ولم يبق منها غير ترجماتها في العربية وهذا ما جعل الأوربيين يأخذون هذا العلم عنهم.

(الصورة الثالثة عشرة ـ علماء الفلك من مخطوط شاهنشاه نامة في القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي)

ونعلم علم اليقين ان استعراض اسماء علماء الفلك قد يحتاج إلى مؤلف كامل ولكننا نقف


الصورة: الرابعة عشرة

عند مخطوطة عبارة عن رسالة فلكية مصورة لمحمود بن محمد الجغميني (ت:٦١٨هـ/١٢٢١م) بعنوان: المخلص في الهيئة). **(الصورة الرابعة عشرة)**

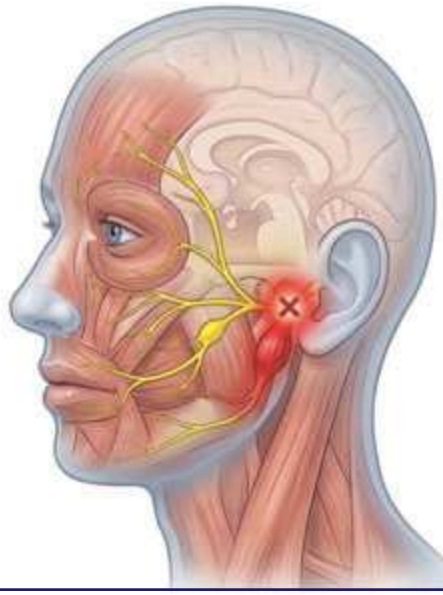
وكتاب (صور الكواكب الثابتة) لعبد الرحمن الصوفي (٣٧٦هـ/٩٨٦م) وهو من روائع كتب الفلك المصورة ألهم الكثير من الفنانين لرسم الأفلاك بأشكال مختلفة منها الصورة المأخوذة من مخطوط كتب في القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي. **(الصورة الخامسة عشرة)**


الصورة: الخامسة عشرة

بل أخذ الغرب العشرات من أسماء النجوم ونقلها بأصلها العربي مثل: السهى (Suha)، سهيل الفرد (Suhail alaard)، الزيج (Ziyj)، وغيرها.

وهناك دور للمرأة المسلمة فاقت به وهي مريم الأسطرلابية أو العجيلة بنت العجلي (القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي) عالمة الفلك التي عاشت في حلب وفي بلاط سيف الدولة الحمداني اشتهرت بتطوير آلة الأسطرلاب المعقد بدقة فائقة. **(الصورة السادسة عشرة)**


الصورة: السادسة عشرة



الشرجي

مسلم عقيل القراغولي

شلل الوجه النصفي أو الشرجي هو شلل يقع في العصب الوجهي، هو العصب الدماغي السابع، وهو عصب مزدوج أي يوجد واحد لكل جانب، أيمن وأيسر، شأنه في ذلك شأن معظم أعضاء الجسم وأعصابه. إلا انه بالرغم من قصره –حيث لا يتعدى النصف الذي ينتمي إليه من مقدم الرأس والرقبة– فإنه ذو مسارٍ متعرج وشاق، مما يجعله عرضة للإصابات المختلفة أكثر من غيره من الأعصاب. كما يزيد من أهميته أنه المتحكم في عضلات الوجه، لذلك فإنه يكون في حالات مرضه أو أصابته مصدر قلق للمريض دائمًا وللطبيب أحيانًا، إذ إن الوجه هو الذي يعبر عن الحياة بما يعكس من الانفعال بها وبمواقفها المختلفة، فإذا لم يستطع ذلك فإنه يبدو جامدًا لا حياة فيه، مما يكون له أثرٌ سيء على الحالة النفسية للمريض، ذلك بجانب المتاعب الأخرى التي يعانيها مثل صعوبة إخفاء ما قد يطرأ على الوجه من تشوّه وصعوبة التحكم في مخارج بعض الأحرف أثناء الكلام.

العصب الوجهي هو عصبٌ من مجموعة أعصابٍ تخرج من جذع الدماغ تعرف بالأعصابٍ القحفية، وعددها اثنا عشر زوجًا، وقد جرى العُرف على ترقيم هذه الأعصاب بالأرقام الرومانية، وفق ترتيبها التشريحي، تمييزًا لكل منها عن الآخر. والعصب الوجهي هو العصب السابع في الترتيب، ويرمز إليه بالرقم الروماني (VII)، وهو ما يهمنا في موضوع هذا المقال.

يخرج العصب السابع من مراكز مختلفة ومتعددة في جذع الدماغ، ويتخذ مسارًا متعرجًا داخله الى أن يخرج منه في موضع مقابل لفتحة الأذن الداخلية في قاع الجمجمة، فيدخلها ليأخذ طريقه في قناة الأذن الداخلية متجها الى الأذن الوسطى حتى ينحرف في زاوية قائمة متجهًا إلى الخلف من قناة عظمية دقيقة خاصة به مع ذلك الشريان الصغير الذي يصاحبه ويغذيه بالدم اللازم له. وما أن يصل الى نهاية هذا الجدار من الخلف حتى يتغير اتجاهه مرة أخرى ليتخذ مسارًا راسيًا تقريبًا داخل عظام النتوء الحلمي خلف الأذن ليخرج من فتحة خاصة به يغطيها الطرف الأسفل لهذا النتوء.

وبهذا ينهي مساره داخل الجمجمة ليتجه ناحية الغدة النكفية التي تحتل الجزء الذي بين أعلى الفك السفلي والرقبة، وتمتد لتغطي جزءًا من الوجه أسفل الأذن وأمامها فيتفرع بين فصوصها الى فروع خمسة تتفرق كما تتفرق أصابع اليد في الكف المفردة لتغطي منطقة الوجه والجبهة وجانبًا من الرقبة.

وهو يتفرع ليغذي عضلات الوجه ويمدها بالإشارات الحركية وهي وظيفة هذا العصب الأساسية. إذ تنتقل هذه الإشارات عن طريقه الى نهاية الألياف العصبية الحركية التي تكوّن الجزء الأكبر منه في صورة نبضات كهربائية تتحكم في العضلات التي تصل إليها فتحركها بين الانقباض أو الانبساط سواءٌ في ذلك

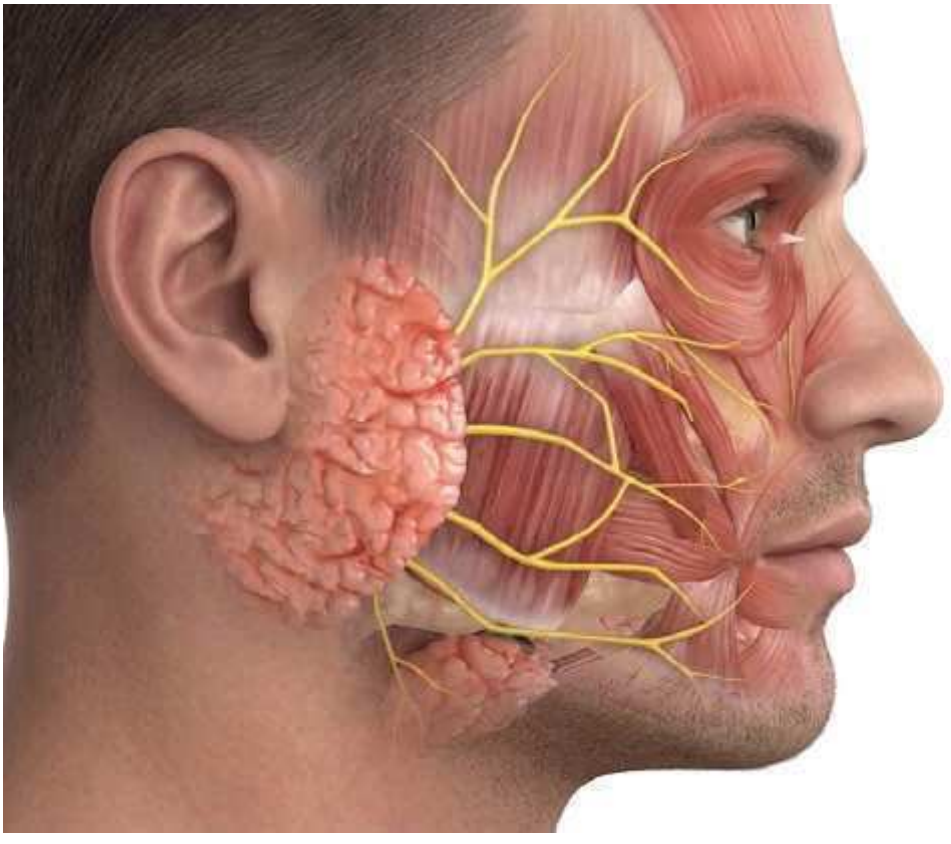


الحركات الإرادية التي تأتيها عن غير عمد مثل التعبير عن الانفعالات التي تظهر على الوجه من حزن وفرح ودهشة واستياء وغيرها.

وهو بذلك عصب حركي مسؤول عن حركة عضلات التعبير الوجهي، ولكن في جزء من مساره يُضم إليه ما يعرف بالعصب الوسيط، وهذا العصب يتكون من ألياف عصبية تحمل حاسة الذوق من ثلثي اللسان الأماميين الى المخ، وألياف أخرى تغذي الغدد اللعابية تحت اللسان وتحت الفك بالنبضات أو الإشارات المنبهة لإفراز اللعاب، والبعض الآخر يغذي الغدد الدمعية والغدد المخاطية بغشاء الأنف بالنبضات المنبهة لإفرازها كذلك. وتوجد كذلك ألياف حسية تنقل إحساس محدود من صيوان الأذن والقناة السمعية الخارجية.

وإذا تأثر هذا العصب السابع في أي من أجزائه، ابتداءً من مراكزه بالمخ أو في مساره بالجمجمة أو خارجها الى نهاياته عن العضلات أو الغدد التي يغذيها بما يعيقه عن أداء وظائفه يكون العرض الأكثر وضوحًا وإزعاجًا للمريض هو الشلل النصفي بالوجه. هذا الى جانب الأعراض الأخرى مثل اختلال الإفراز الدمعي والإفراز المخاطي بالأنف والألم أو الطنين بالأذن وخلاف ذلك مما يستعين به الطبيب لتحديد موضع الإصابة ونوعها بجانب بعض الفحوصات التي تختلف باختلاف كل حالة حتى يستطيع أن يختار نوع العلاج أو الجراحة المناسبة.





ويترتب على الشلل بعضلات الوجه تغير واضح بملامح الوجه نتيجة لارتخاء العضلات بالجانب المصاب وعدم القدرة على تحريكها، ويظهر ذلك بصورة أوضح عند الكلام .كما لا يستطيع المريض إغماض عينه بالجانب المصاب مما يجعلها معرضة للتيارات الهوائية التي تتسبب في جفافها والأتربة التي تضربها بعد أن حُرمت من حركة الجفن الدائمة التي تحميها من الأجسام الغربية وتمسح عليها وترطبها طول الوقت. وكذلك فإن ارتخاء عضلات الفم يضايق المريض كثيرًا عند الأكل حيث يتجمع الغذاء بين الأسنان وعضلات الخد المشلولة بعد مضغه، وذلك لعدم القدرة على دفعه للداخل أثناء المضغ، كما انه أثناء الشرب قد تسيل السوائل من جانب الفم.

ولما كانت الأسباب التي تؤثر في هذا العصب كثيرة ومتعددة فسوف نكتفي بذكر أكثرها شيوعًا، ويأتي في أول القائمة شلل بيل "Bell's Palsy" كما انه يطلق عليه أسماء أخرى منها نزلة بردية

بالعصب الوجهي، كذلك يعرف باسم شلل روماتزمي بالوجه.

أما عن أسبابه فلم تكن معروفة على وجه التأكيد للأطباء فيما قبل الحرب العالمية الثانية بما في ذلك أول من وصف هذا المرض وكتب عنه حتى سمي باسمه وهو السير تشارلز بيل Gharle's Bell, وحتى الآن لازال السبب غير واضح تمامًا، لكن ظهرت نظريات تقترح تفسيرًا لذلك، وكان أكثرها قبولًا أن هذا الشلل ناتجٌ عن انقباضٍ بالشريان الذي يغذي العصب، يتبعه تورم بالعصب والغشاء الذي يحتويهما، ولكونهما يسيران داخل قناة عظمية غير قابلة للتمدد مع هذا التورم فإن العصب يعاني ما يشبه الاختناق نتيجة للضغط الذي يقع عليه، ويؤدي ذلك الى الشلل بدرجاته المختلفة من الشدة.

ويُعتقد أن السبب لذلك هو التعرض المفاجئ أو لفترات طويلة لتيارات الهواء البارد .لأنه كثيرًا ما يكون مصحوبًا بالنزلات البردية، كما أن هناك احتمالاً على إصابة العصب بفيروس، يؤدي الى شلله.

ويحدث الألم فجائيًا، فيستيقظ المريض ويحس بألم شديد خلف الأذن، وبعد ذلك يحس بأن هناك تيبسًا بعضلات الجهة المصابة من الوجه، ولا يمكنه أن يغلق عينه، ولا يحرك شفته، فيتجمع الأكل في الجهة المصابة من الوجه، أو يسيل لعابه من تلك الجهة، وتدمع العين المصابة، وفي بعض الحالات لا يحدث الألم ولكن يلاحظ المريض أو يلفت انتباهه أحد بأن وجهه مائل أو به التواء، وذلك لأن العضلات في الجهة السليمة تسحب العضلات المشلولة في الجهة المصابة، وإذا حاول المريض النفخ أو الصفير لا يمكنه ذلك.

وفي معظم الحالات تبدأ الحركة في الجهة المصابة بعد ثلاثة أو أربعة أسابيع، ويكون الشفاء تامًا، ويعود الوجه الى حالته الطبيعية في ظرف ٤ – ٦ شهور.

في الحالات الشديدة التي يتأثر فيها العصب تأثرًا بالغًا يأخذ العصب مدة أطول ربما تمتد الى سنتين، وفي هذه الحالة لا يكون الشفاء تامًا بل يترك وراءه أثرًا بسيطًا في الوجه، وفي حالات نادرة لا ينمو العصب مرة ثانية، ويبقى الوجه على حالة الالتواء ناحية الجهة السليمة تظهر واضحة عند القيام بحركة في الوجه وعند الابتسامة، وأحب أن الفت نظر القارئ انه ليس معنى أن أحدهم أصيب بشلل عصب الوجه أن



ذلك بداية الشلل النصفي (الفالج) كما يعتقد البعض لأن هذا ليس له علاقة بالشلل النصفي.

يجب أن لا يتعرض المصاب للبرد، ويلف غطاء حول الوجه، ويلبس نظارة ليقي عينيه من الأتربة خصوصًا وأنه لا يمكنه أن يغلقها في بادئ الأمر، فعند نومه لابد أن يغلق عينه في الجهة المصابة بلاصقٍ أو ما شابه لكيلا تبقى مفتوحة أثناء نومه.

وفي بعض الحالات تُعطى حقن الكورتيزون عند موضع خروج العصب من الجمجمة خلف النتوء الحلمي للأذن. وعندما يزول الألم يُنصح المريض بتدليك الجهة المصابة من الوجه، وعندما تبدأ الحركة في العضلات، يجب على المريض أن يقوم بتحريكها عدة مرات أمام المرآة، حتى ينشط جميع حركات العضلات فتعود الى حالتها الطبيعية، وفي الحالات الشديدة التي لا تستجيب للعلاج بهذه الطريقة، تُحفز العضلات بالتيار الكهربائي بجهاز خاص، وفي الحالات التي لا تتحسن بعد مرور فترة طويلة، ربما يستعان بعملية جراحية للتجميل، ليرجع الى الوجه شكله الطبيعي قدر الإمكان.

أما إذا لم تتحسن الحالة بصورة مُرضية بعد ستة أسابيع من العلاج، وهذا نادر الحدوث، فانه لا بد من اللجوء للجراحة بغرض فتح القناة العظمية التي يسير فيها العصب وتخليصه من الضغط الذي يعانيه بداخلها.



عجز في تجاعيد الجبهة (الجبين)

عجز في إغلاق العين

فقدان تجعد (ثنية) بين الأنف وطرف الفم

ترهل الفم؛ قد ينساب اللعاب منه

تُظهر الصورة مريضًا مصابًا بشلل العصب السابع، إذ يبدو الجانب السليم (الأيسر) من الوجه قادرًا على الابتسام بصورة طبيعية، بينما يعجز الجانب المصاب (الأيمن) عن مجاراة هذه الحركة، فينحرف الفم نحو الجهة السليمة، مع ارتخاء عضلات الجهة المصابة وصعوبة إغلاق العين وتجعيد الجبهة في الجانب نفسه.



يأتي بعد ذلك في قائمة الأسباب التهاب الأذن الوسطى ونوعاه، الحاد والمزمن، فقد يتأثر العصب نتيجة للالتهاب الحاد بالأذن الوسطى. وفي هذه الحالة يكون هناك ضعف أو ثقب بالقناة العظمية التي يحتمي العصب بداخلها. لذلك تكون الحالة دائمًا مصحوبة بأعراض التهاب الأذن كما يكون الشفاء منها سريعًا إذا أُحسن علاج الأذن.

كما أن العصب قد يتأثر نتيجة للالتهاب المزمن بالأذن الذي يهمل المريض علاجه لمدة طويلة تكفي لتآكل

جزء من القناة العظمية. وهنا يكون العلاج الوحيد هو الجراحة لاستئصال العظام الملتهبة بالأذن وتنظيفها مما قد يكون بها من زوائد لحمية مع تغطية العصب وحمايته بالطريقة التي تناسب كل حالة.

هذا عن أهم الأسباب المرضية إلا انه علاوة على ذلك فإنه لا ينجو أحيانا من بعض الإصابات الخارجية، إذ قد يحدث أحيانًا في بعض إصابات الرأس وخاصة المصحوبة منها بكسر في قاع الجمجمة أن يمر الكسر بقناة العصب فيتأثر بذلك العطب الذي يصيبه والذي تتراوح شدته تبعًا لشدة الإصابة بين الرض أو الكدم البسيط الذي يشفى سريعًا والقطع الكامل للعصب. كما إنه غالبًا ما يكون مصحوبًا بأعراض أخرى للإصابة ويختلف العلاج هنا باختلاف الحالة.

كذلك فإن الحوادث التي ينتج عنها جروح قطعية غائرة بجانب الوجه قد تتسبب في قطع بعض فروع العصب وينتج عن ذلك الشلل بالجزء الذي يتصل بالفرع أو الأفرع المصابة، وهنا تكون للسرعة والدقة في الجراحة أثرها في سرعة الالتئام والشفاء.

وأخيرا تأتي الإصابات الجراحية، إذ إن إصابة العصب الوجهي بالشلل هي من المضاعفات المعروفة النادرة الحدوث والتي يعمل لها جراح الأذن ألف حساب أثناء بعض جراحات الأذن. وقد أصبح احتمال حدوث ذلك اقل كثيرًا مما كان في السابق بعد استخدام الناظور الجراحي في عمليات الأذن، فقد يحدث أثناء الجراحة حين يكون هناك بعض الاختلاف في مسار العصب المعروف في الأذن أن يصاب العصب أو يقطع تمامًا بطريق الخطأ وبدون توقع .كما انه قد يكون هناك تآكل في القناة العظمية ويكون العصب مطمورًا داخل الزوائد اللحمية بالأذن ويكون بذلك عرضة للإصابة أثناء إزالتها وتنظيف الأذن منها. ويكون العلاج في مثل هذه الحالة بجراحة أخرى لتقريب طرف العصب المقطوع وإعطائه فرصة للالتئام.

وفي حالة فشل الطرق السابقة فإننا نلجأ الى عمليات ترقيع العصب أو عمليات التجميل مع نقل أعصاب أخرى لتقوم ببعض عمل هذا العصب في محاولة للإقلال ما أمكن من آثار الشلل الدائم به.

من حوزة العلم إلى أفق المجرات

بحث عراقي في تحديات الاتصال عبر المسافات النجمية

بقلم: عـزيـز آل يحيـى

عندما نحدّق ليلاً في السماء وترتسم أمام أعيننا تلك النقاط اللامعة التي نطلق عليها اسم النجوم نقف مشدوهين أمام عظمة الخالق وصنعه البديع وفي أذهاننا تساؤلات لا تنتهي وأفكار لا تهدأ أما المتخصصون والباحثون فلهم رؤية مختلفة عن رؤيتنا فتلك النقاط الضوئية اللامعة نجومٌ تبعد عنا سنوات ضوئية بعضها مات منذ زمن بعيد لكن ضوءه ما يزال يسافر إلينا حتى اللحظة ليصل إلى أعيننا حاملاً شهادة حية على صنع الخالق العظيم وهنا يحضر قوله تعالى ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ فما أعظمها من دعوة قرآنية تفتح للإنسان أبواب التفكر في هذا الكون الفسيح وتحثه على السير في الأرض والتأمل في السماء ليجد في كل اكتشاف علمي آية تدل على عظمة الخالق سبحانه

في هذا الإطار جاءت ندوة «الاتصالات بين النجوم» التي احتضنتها مؤسسة المكين للعلوم والمعارف في النجف الأشرف لتمثل محطة علمية وفكرية جمعت بين دقة الهندسة وعمق الفيزياء وسعة الفكر الحضاري قدّمها المهندس محمد المهدي والمهندس علي عبد الإله الموسوي من كلية الهندسة بجامعة الكوفة بإشراف الأستاذ



المساعد الدكتور سيف حسن عبد النبي التميمي والأستاذ المساعد الدكتور حسن كامل الموسوي وسط حضور أكاديمي متخصص لم تكن الندوة مجرد عرض تقني لإمكانات الاتصال بين النجوم بل كانت رحلة تأمل في موقع الإنسان من هذا الكون وفي حدود قدرته أمام عظمة الخلق وفي واجبه الشرعي في طلب العلم والبحث والتفكر في ملكوت السماوات والأرض.

من سماء الأرض إلى أقرب النجوم

لم تبدأ الندوة من نقطة تقنية مباشرة بل من سؤال يقارب المألوف كلنا نظرنا إلى السماء فشاهدنا نجومًا كثيرة فهل هي مجرد نجوم نراها ونستدل بها أم أنها قد تكون وجهة للاتصال يومًا ما ومن هنا تولى الدكتور حسن كامل الموسوي تأطير السؤال علميًا مستهلًا حديثه بالقول «أتقدم بخالص شكري وتقديري وامتناني لهذه المؤسسة الكريمة لحسن الاستضافة وإتاحة الفرصة لتقديم هذه الندوة» وأوضح أن الاتصالات بين النجوم تعني نقل المعلومات أو البيانات بين نظامين نجميين مختلفين عبر مسافات تقاس بالسنوات الضوئية باستخدام إشارات

كهرومغناطيسية وهي امتداد طبيعي لتطور أنظمة الاتصالات الأرضية والفضائية وصولًا إلى الاتصال مع منظومة نجمية بعيدة.

ولتقريب حجم التحدي توقف عند أقرب نجم إلى الأرض وهو «Proxima Centauri» الذي يبعد ٤,٢٤ سنة ضوئية مبينًا أن الإشارة المرسلة إليه



أ. م. د. حسن كامل الموسوي استاذ في جامعة الكوفة كلية الهندسة قسم الإلكترونية والاتصالات – مشرف البحث



أ. م. د. سيف حسن عبد النبي التميمي استاذ في جامعة الكوفة كلية الهندسة قسم الإلكترونية والاتصالات



تحتاج إلى أكثر من أربع سنوات لتصل وأن انتظار الرد يرفع المدة إلى أكثر من ثماني سنوات وفي مقارنة بين نقل البيانات وإرسال مركبة فضائية ذكر أن المركبة «Voyager 1» التي أطلقت عام ١٩٧٧ بسرعة ١٧ كيلومترًا في الثانية لو اتجهت إلى ذلك النجم لاحتاجت إلى أكثر من سبعين ألف سنة بينما تكفي البيانات المرسلة بضع سنوات لقطع المسافة نفسها.

خطوات البشرية في الفضاء العميق

وفي السياق ذاته توقف الدكتور حسن عند تجربة وكالة ناسا المسماة «Deep Space Optical Communication» التي أُرسلت فيها المركبة «Psyche» عام ٢٠٢٣ ونجحت في إرسال ملف فيديو فائق الدقة من مسافة ٣٠ مليون كيلومتر ثم حققت عام ٢٠٢٤ رقمًا قياسيًا على مسافة ٤٩٤ مليون كيلومتر لكنه شدد على أن هذه التجارب ما تزال ضمن إطار الاتصال بين المركبة والأرض ولا ترقى بعد إلى مستوى الاتصال بين نجمين

وبيّن أن التحدي يبدأ عندما تصل الإشارة ضعيفة إلى حد يتطلب أجهزة استشعار عالية الدقة وهنا تدخل هندسة الاتصالات في قلب المشكلة وخلص إلى أن أبرز التحديات تتمثل في المسافة البعيدة والزمن والقدرة والتكنولوجيا موضحًا أن المسافات الهائلة ترفع خسائر المسار «Path Loss» وتفرض هوائيات عالية الكسب بينما يصل التأخير الزمني إلى سنوات مقارنة بأجزاء من الثانية في شبكات الجيلين الرابع والخامس

وأضاف أن القدرة المحدودة للمركبات والمسابير تخفض نسبة الإشارة إلى الضوضاء «SNR» ما يرفع احتمال الخطأ ويؤدي إلى استقبال إشارات مشوهة كما تطرق إلى تحديات التوجيه الدقيق «Pointing Error» ونظم التتبع والتأثيرات الجوية مثل امتصاص الإشارة وتشتتها والاضطراب الحراري وتأثير دوبلر الناتج عن الحركة النسبية بين المرسل والمستقبل وأنهى الدكتور حسن مداخلته بطرح أسئلة جوهرية كيف ننقل الإشارة عبر هذه المسافات وماذا يحدث لها خلال الرحلة الطويلة وكيف نلتقطها بعد سنوات ضوئية وما التقنيات المطلوبة لتصميم رابط ناجح بين النجوم ثم قال «هذه الأسئلة سأحيلها إلى الزملاء المهندسين»

بين تصنيف الحضارات واكتشافات هابل

وبعد أن رسم الدكتور حسن الخريطة الهندسية للتحدي انتقلت الندوة إلى السؤال الفيزيائي الأوسع هل نستطيع وما

الذي يعنيه ذلك وقد تولى المهندس محمد المهدي هذا المحور حيث أوضح أن فهم الاتصالات بين النجوم يتطلب مقدمة مبسطة عن علم الفلك والفضاء تخدم هدفين التأمل في عجيب خلق الله وتحديد الإمكانات الفيزيائية للتواصل مع نجم آخر.

ثم استعرض مقياس كاردشيف لتصنيف الحضارات الكونية مشيرًا إلى أن الحضارة قد تولد وتندثر مباشرة أو تواجه تقلبات وكوارث كونية فلا تستطيع الحفاظ على نفسها أو تبلغ مستوى متقدمًا تستثمر فيه طاقة الكوكب ثم النجم ثم المجرة فتحافظ على وجودها ولفت إلى أن حضارة المستوى الثاني يمكنها إنتاج طاقة تعادل استهلاك العراق خمسين عامًا في جزء من الثانية وانتقل إلى إسهامات علماء الفلك فذكر الخوارزمي وابن الهيثم ونصير الدين الطوسي في البصريات والمراصد ثم توقف عند تلسكوب هابل الذي يعمل على ارتفاع ٥٧٠ كيلومترًا ويرصد الضوء المرئي فقط

وأشار إلى اكتشافين رئيسيين الأول «حقل هابل العميق» حيث وجّه التلسكوب نحو منطقة معتمة لمدة ٣٣ ساعة فاكتشف أكثر من ٥٠٠ مجرة ثم أعاد التصوير عام ١٩٩٥ لمدة ١٠٠ ساعة فظهرت مجرات يعود ضوء بعضها إلى نحو ١٣ مليار سنة أما الثاني فهو كشف تسارع توسع الكون إذ رصد تباعد المجرات بشكل متزايد ما دحض فرضية التوسع المتباطئ.

كما تطرق إلى إشعاع الخلفية الكونية الميكروي الذي رصده القمر الصناعي كوبي (COBE) عام ١٩٨٩ واصفًا إياه بأنه صورة الكون في بداياته بعد نحو ٣٥٠٠٠٠ سنة من الانفجار العظيم حين تحررت الفوتونات ووصلت إلى الأرض





بعد رحلة استغرقت قرابة ١٣ مليار سنة ولجعل المسافات مفهومة شرح مفهوم السنة الضوئية مؤكدًا أنها وحدة مسافة لا زمن فضوء الشمس يصل إلينا في ٨ دقائق ويقطع محيط الأرض في ٠,١٣٣ ثانية والمسافة إلى القمر في ١,٢٨ ثانية بينما تعادل السنة الضوئية الواحدة ٩,٤٦ تريليون كيلومتر وذكر أن المجموعة الشمسية تقع على بعد نحو ٢٧ ألف سنة ضوئية من مركز المجرة

تساؤلات الصمت الكوني وأفق الحضارة

وختم المهندس محمد المهدي مداخلته بعرض مقطعين مرئيين الأول لعالم روسي تناول الصمت الكوني ومفارقة فيرمي في ضوء اكتشاف مليارات النجوم الشبيهة بالشمس والكواكب الأرضية مشيرًا إلى أن البشرية تعرف مليارات الكواكب والنجوم ومع ذلك يبقى البحث عن أي ذكاء حضاري آخر بلا نتيجة حاسمة.

أما المقطع الثاني فكان للسيد منير الخباز وركز على بناء الحضارة الكونية



المهندس محمد المهدي عبد الحميد الهنداوي



بوصفها هدفًا للوجود مستشهدًا بقوله تعالى «وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ» وقوله تعالى «مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ» وقوله تعالى «أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ» وقوله تعالى «أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً» وأكد أن هذا الطرح ينسجم مع المستوى الثالث في مقياس كاردشيف أي استثمار طاقة المجرة لا النجم فقط مشيرًا إلى أن الفيديو كان حديثًا للسيد منير الخباز في الثاني عشر من محرم الحرام من هذا العام في الولايات المتحدة الأمريكية

حدود الإنجاز البشري في الكون

بعد أن أنهى المهندس محمد المهدي مداخلته انتقل الحديث إلى زميله الباحث علي عبد الإله الموسوي الذي افتتح كلمته بسؤال مباشر «إلى أين وصلنا أو ما هي

أبعد نقطة وصلنا إليها» وأجاب بأن أبعد نقطة وصلها الإنسان هي ٢٥,٦ مليار كيلومتر وقد تحقق ذلك عبر المسبار الفضائي «Voyager 1» الذي أطلق في الخامس من سبتمبر عام ١٩٧٧ بينما أطلق توأمه «Voyager 2» قبله بستة عشر يومًا وكل منهما في مسار مختلف.

وأوضح أن هذا المسبار لم يكن مصممًا أصلًا لإرسال البيانات من هذه المسافة الهائلة ومع ذلك ما تزال المراصد الأرضية تستقبل بياناته حتى اللحظة وهو في أطراف مجموعتنا الشمسية لكن المشكلة الحقيقية تكمن في سرعته البطيئة جدًا مقارنة باتساع الكون الفسيح وأشار الموسوي إلى أن فكرة استعمال الصاروخ قد تبدو منطقية بعض الشيء إذ لا توجد ممانعة هواء في الفضاء لكن الصاروخ لا يمكنه الوصول بسرعة مقاربة لسرعة الضوء وبالتالي يستحيل بلوغ أقرب مجموعة شمسية في زمن منطقي وأضاف «لكي نرسل صاروخًا



بسرعة تقترب من سرعة الضوء يجب توفير وقود بكتلة مساوية لآلاف الأضعاف لكتلة مجرة درب التبانة فسرعة الضوء ليست بالأمر الهين» وخلص إلى أن الصاروخ لا يمكن أن يكون حلًا عمليًا

مبادرة Breakthrough Starshot

وانتقل الموسوي إلى الحديث عن الحل المقترح وهو مبادرة «Breakthrough Starshot» التي أُطلقت عام ٢٠١٦ على يد عالم الفيزياء الفلكية والملياردير الروسي يوري ميلنر (Yuri Milner) وهي مؤسسة عالمية تعنى بدعم هذا المشروع بالعلماء والأموال وشرح أن اقتراح المؤسسة يقوم على إنشاء مسبار خاص ذي شراع عاكس للضوء بنسبة ٩٩,٩٩٪ يُقذف خارج الغلاف الجوي ثم يُدفع بالليزر من الأرض بطاقة تصل إلى ١٠٠٠٠٠ ميغاواط أي ما يعادل استهلاك العراق للكهرباء لمدة أربع سنوات وأوضح أن الليزر سيدفع المسبار في حالة فيزيائية تسمى «ضغط الفوتون» لمدة عشر دقائق بعدها ينطلق المسبار نتيجة ضغط الفوتونات المتراكمة عليه بالسرعة المطلوبة والتي تبلغ عشرين بالمئة من سرعة الضوء وعند وصوله إلى المجموعة الشمسية الأخرى سيقوم بالتقاط البيانات عن الكواكب هناك وإرسالها آنيًا إلى الأرض.

عقبات إرسال البيانات عبر المسافات الكونية

وبعد أن عرض فكرة المسبار الشراعي انتقل الموسوي إلى التحديات الأخرى متسائلًا «هل هناك تحديات أخرى نعم هناك الكثير لكن الأهم هو إمكانية وصول البيانات إلى الأرض بعد إبحارها أربع سنين ضوئية» وأشار إلى أن النقاشات في هذا الصدد ما تزال شحيحة ومن بينها هذا البحث الذي يقدمه الفريق والذي قام بحساب الخسارات في الطاقة في مسار إرسال البيانات بين المجموعتين الشمسيتين بالتركيز على محورين رئيسيين.

الأول هو خسارة التصويب وهي ذات أهمية كبيرة لأن المجموعتين الشمسيتين في حركة دائمة ويجب المحافظة على تصويب المسبار بدقة إذ إن أي خطأ



علي عبد الإله عبد العزيز الموسوي



يمكن أن يسبب انقطاع استلام البيانات وخسارتها وأوضح أن الباحث الذي تولى هذا المحور بالدراسة المعمقة هو المهندس محمد المهدي أما الثاني فهو خسارة طبقات الجو إذ يجب حساب تأثيرات طبقات الجو بدقة وهي تنقسم إلى خمسة أقسام فالليزر يبدأ بالتشوه بسبب تأثير هذه الطبقات من الإكسوسفير نزولاً إلى التروبوسفير.

وأوضح أن الفريق قام بحساب كافة التأثيرات الجوية على الليزر وتشمل امتصاص الضوء في الجو وتشتت رايلي الذي يحدث عندما يصطدم الضوء بجزيئات صغيرة وتشتت موي الذي يحدث عندما يصطدم الليزر بجزيئات كبيرة واضطراب الهواء وتذبذب الليزر وانتشاره إضافة إلى المطر والعواصف الرملية والغيوم والثلوج وإشعاع السماء أو ما يعرف بالضوضاء (Noise)

حوار خاص مع مؤسسة المكين للعلوم والمعارف

ضمن تغطية هذه الندوة العلمية أجرينا حوارًا صحفيًا خاصًا مع الأستاذ المساعد الدكتور ضياء الخويلدي ممثل مؤسسة المكين للعلوم والمعارف وسُجّل هذا الحوار ليكون توثيقًا لأهداف المؤسسة ورؤيتها

استهل الدكتور الخويلدي حديثه بتوضيح أن المؤسسة تعمل على استقطاب الباحثين من مختلف التخصصات العلمية والإنسانية إلى جانب تنظيم الندوات والورش النوعية التي تهدف إلى تعزيز وعي الإنسان ونشر المعرفة بما يسهم في إيصال صوت المجتمع والباحث العراقي إلى الفضاءين العربي والعالمي

وأشار إلى أن المؤسسة تضع تطوير الوعي والفكر النيّر في مقدمة أولوياتها من خلال دعم الباحثين والمفكرين وإتاحة



المجال أمام نتاجهم العلمي عبر نشر الأبحاث والمقالات والدراسات فضلاً عن طباعة الرسائل والأطاريح الأكاديمية باللغتين العربية والإنجليزية ضمن مشروع للتوسع مستقبلاً ليشمل أربع لغات هي العربية والإنجليزية والفارسية والفرنسية

وبيّن أن هذا التوجه لا يقتصر على نشر النتاج العلمي فحسب إذ تعمل المؤسسة على نشر البحوث مجاناً وإسناد الأبحاث المتميزة بمكافآت مالية ولا سيما تلك التي ترتقي إلى مستوى الخدمة المجتمعية وأكد الدكتور الخويلدي في ختام حديثه أن هذه الجهود تنطلق من غاية أساسية تتمثل في خدمة الإنسانية وتعزيز حضور المعرفة والبحث العلمي في المجتمع مشيرًا إلى أن المؤسسة تسعى لأن تكون منبرًا للفكر النيّر والعلم النافع

ختام الرحلة وبقاء الدهشة

بعد رحلة علمية امتدت قرابة الساعتين عاد الحضور من تلك المسافات الضوئية الشاسعة إلى كوكب الأرض حيث الواقع والتحديات وحيث يقف الإنسان محدود القدرة أمام عظمة خالقه جل جلاله وإذا كانت الندوة قد فتحت أفقًا للتأمل في قوله تعالى «وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ» فإنها ذكّرت الجميع بأن التفكر في هذا الكون الواسع ليس ترفًا فكريًا بل طريقٌ إلى معرفة الله وإدراك موقع الإنسان من هذا الوجود وواجبه في طلب العلم والبحث والتفكر في ملكوت السماوات والأرض وفي ختام الندوة قامت إدارة مؤسسة المكين للعلوم والمعارف بتكريم الباحثين والمشرفين تقديرًا لجهودهم العلمية في إعداد هذا المشروع البحثي وتقديمه للحضور.


كتابات
في الميزان
الموقع الذي
يجمع الأقلام العربية
كتابات
في الميزان
الصفحة الرئيسية
أخبار وتقارير
المقالات
قضية رأي عام
ثقافات
إصدارات
الموسوعة
مدونة كتابات في الميزان ..
للإطلاع على التفاصيل وحجز مدونتك الخاصة : إضغط هنا
الكتاب :



عدم تطوّر مجتماعتنا

بقلم: علي سعدون

من الأسئلة التي نسمعها من شبابنا ومثقفينا، ورُبّما يتمّ تداولها بينهم -أيضًا- في مجالسهم الخاصّة، هو السؤال عن عدم تطوّر مجتمعاتنا الشرقيّة، وبالأخصّ الإسلاميّة مع ما تملكه من قيم وتأريخ مهمّ؟

فنحن نرى المجتمعات الغربيّة مجتمعات متطوّرة ومزدهرة، مع بُعدها عن الإيمان بالله -عزَّ وجلَّ، بل مع ابتعادها عن الدِّين بشكلٍ عامٍّ.

في مقام الإجابة عن ذلك نقول:

أوّلًا: الظاهر من السؤال هو توجيه اللوم والعتاب في تخلُّف مجتمعاتنا إلى الدِّين، وكأنَّه هو السبب وراء عدم نهضة شعوبنا وتقدُّمها، ممّا يسهم في إيجاد فجوة بين الطبقة الشبابيّة والمثقفة والدِّين؛ لأنَّه يعطيهما شعورًا بكون الدِّين يقف عائقًا أمام حركتهم التطوّريّة، والإنسان بفطرته يكره ما يُعيقه عن التقدُّم والازدهار والترقي.

ثانيًا: لنسأل ما المراد بدقة من التطوّر

الذي تفتقده مجتمعاتنا اليوم، وتتخلّف به عن الغرب؟

هل المقصود به التطوّر العمراني على مستوى البُنى التحتيّة للبلاد، من الطرق، والجسور، والحدائق، والمرافق العامّة الأُخرى، أو المقصود به التطوّر في المستوى الدراسيّ والتعليمي في جميع مفاصل الدراسة من الإبتدائيّة وحتّى الجامعة، أو المقصود به التطوّر على المستويين الثقافيّ والأخلاقيّ، أو التطوّر على مستوى المجال الصحيّ والطبي، أو المقصود جميع ذلك معًا؟

لنفترض أنَّ المقصود جميع ذلك، لكن هل الدِّين يمنع تطوير البُنى التحتيّة، أو المستوى الدراسيّ، أو الصحّي، أو الأخلاقيّ؟!

وهل يوجد عاقل يمكن أن يُصدق ذلك؟!

كيف، والدِّين يدعو في تعاليمه للتطوّر في هذه المستويات، فقد دعى للاستفادة من موارد الكرة الأرضيّة بعد أن ذلّلها الله -عزَّ وجلَّ- للبشر، بقوله: ﴿هُوَ الَّذي جَعَلَ لَكُمُ الأَرضَ ذَلولًا فَامشوا في مَناكِبِها وَكُلوا مِن رِزقِهِ وَإِلَيهِ النُّشورُ﴾[1].

وفي الحديث الصحيح «قيل: يا رسول الله، أنتداوى؟ فقال: نعم، تداووا؛ فإنَّ الله -تبارك وتعالى- لم ينزل داءً إلّا وقد أنزل له دواءً، عليكم بألبان البقر؛ فإنَّها ترمّ من كُلّ الشجر»[2].

١ - سورة الملك: آية ١٥، ويُلاحظ: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزّل: ج١٨، ص٤٩٦.

٢- قرب الإسناد، للحِميريّ: ص١١٠، ح٣٨٠.





وفي الحديث الصحيح -أيضًا- عن «جابر الجعفيّ، عن أبي جعفر -عليه السلام-، قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وآله-: اغد عالمًا أو مُتعلِّمًا، وإيّاك أن تكون لاهيًا مُتلذِّذًا»[٣].

وفي الحديث المُعتبر عن أبي عبد الله -عليه السلام-، قال: «إنّ الله -عزّ وجلّ- خصّ رسله بمكارم الأخلاق، فامتحنوا أنفسكم، فإن كانت فيكم فاحمدوا الله، واعلموا أنّ ذلك من خير عظيم، وإن لا تكن فيكم فاسألوا الله، وارغبوا إليه فيها»، قال فذكرها عشرة: اليقين، والقناعة، والصبر، والشكر، والحلم، وحسن الخُلق، والسخاء، والغيرة، والشجاعة، والمروة.

قال: وروى بعضهم بعد هذه الخصال العشرة، وزاد فيها: الصدق، وأداء الأمانة[٤].

هذه كلها نماذج ميّزة من تعاليم الدّين التي تدعو بوضوح إلى نهضة وتطوّر المجتمع والفرد في جميع المستويات المذكورة.

مضافًا إلى ما نشهده من تطوّر ملموس في بلدان تعتمد الدّين الإسلاميّ في نظامها، كسنغافورة، وماليزيا، وإيران -مع ما تعانيه من حصار- ودول الخليج العربيّ، بل نجد أنّ بعض البلدان المسلمة هي في مصافي الدول الأوربيّة المتقدمة، كتركيا.

ثالثًا: أنّ التطوّر في هذه المستويات الحديثة هو من مسؤوليّة الجهات الرسمية القائمة على إدارة البلد، والاستفادة من

٣ - المحاسن: ج١، ص٢٢٧، ح١٥٤.

٤ - الكافي: ج٢، ص٥٦، ح٢.

موارده الذاتية، وكلّما كانت هذه الجهات مهتمّةً بتطوير البلاد كلّما شهدنا التطوّر على أرض الواقع، وبصورة واضحة، بل ورُبّما سريعة، فمن يتحمّل مسؤوليّة تطوّر المجتمعات وعدمه هو الحكومات القائمة عليها، ولا دخل للدّين في تخاذلها، وعدم نهوضها بواقع مجتمعاتها، بل الدّين ينبّه بوضوح أنّ المقصرين في أدائهم الحكوميّ سيكونون مسؤولين وحاسبين أمام الله –عزّ وجلّ– عن ذلك.

فقد روي عن الإمام الباقر –عليه السّلام– أنّ أمير المؤمنين –عليه السّلام– خطب الناس بصفين عن الحقوق، قائلًا: «فأعظم ممّا افترض الله –تبارك وتعالى– من تلك الحقوق حقّ الوالي على الرعية، وحقّ الرعية على الوالي، فريضةٌ فرضها الله –عزّ وجلّ– لكُلٍّ على كُلٍّ، فجعلها نظام ألفتهم، وعزًا لدينهم، وقوامًا لسنن الحقّ فيهم، فليست تصلح الرعية إلّا بصلاح الولاة، ولا تصلح الولاة إلّا باستقامة الرعية.

فإذا أدّت الرعية إلى الوالي حقّه، وأدّى إليها الوالي كذلك عزّ الحقّ بينهم، فقامت مناهج الدّين، واعتدلت معالم العدل، وجرت على أذلالها السنن، فصلُح بذلك الزمان، وطاب به العيش، وطُمِعَ في بقاء الدولة، ويئست مطامع الأعداء والمتربصين.

وإذا غلبت الرعية واليهم، وعلا الوالي الرعية اختلفت هنالك الكلمة، وظهرت مطامع الجور، وكثُر الأدغال في الدّين، وتُرِكت معالم السنن، فعُمِلَ بالهوى، وعُطِلت الآثار، وكثُرت علل النفوس، ولا يُستوحش لجسيم حدّ عُطِلَ، ولا لعظيم باطل أُثِلَ، فهنالك تذِلّ الأبرار، وتعزّ الأشرار، وتخرب البلاد، وتعظم تبعات الله –عزّ وجلّ– عند العباد»[٥].

٥ – الكافي: ج٨، ص٣٥٢، ح٥٥٠.



مستشفى الكفيل التخصصي

قلوب صغيرة تنبض بالحياة..

تحرير : رشا الخالدي

نجاح عملية معقدة لقلب طفل بوزن صغير



نجح فريق طبي متخصص بجراحة قلب الأطفال في مستشفى الكفيل التخصصي بكربلاء في إنقاذ حياة الرضيع «منتظر» البالغ من العمر ستة أشهر، والذي كان يعاني من تشوه ولادي في القلب أثّر بشكل خطير على صحته العامة وحياته اليومية.

وذكر الدكتور أحمد عبودي، ان الطفل «منتظر البالغ من العمر ستة أشهر كان يعاني من رباعية فالوت»، مشيراً إلى ان «وزن الطفل صغير

جدًا وانخفاض نسبة الأوكسجين تسببا في نوبات ازرقاق شديدة ومتكررة».

وبين عبودي، انه «قد تكون رباعية فالوت ليس من الحالات المعقدة وأصبحنا نجريها بشكل دوري، لكن نقص الأوكسجين الذي يتعرض له الطفل لو ترك ممكن ان يتسبب بجلطات في الدماغ، لذا لابد من إجراء العملية بعمر صغير حتى نجنب الطفل أي مضاعفات أو عاهات بالمستقبل».

ولفت جراح قلب الأطفال، انه «بفضل الله وتكاتف الجهود الطبية والتمريضية المتميزة في مستشفى الكفيل، تكللت العملية الجراحية بالنجاح التام، حيث تجاوز الطفل مرحلة الخطر واستعاد استقرار وضعه الصحي»، مؤكدًا، ان الطفل «منتظر يتمتع حاليًا بصحة جيدة وهو على وشك المغادرة إلى المنزل برفقة ذويه ليمارس طفولته بشكل طبيعي وآمن».

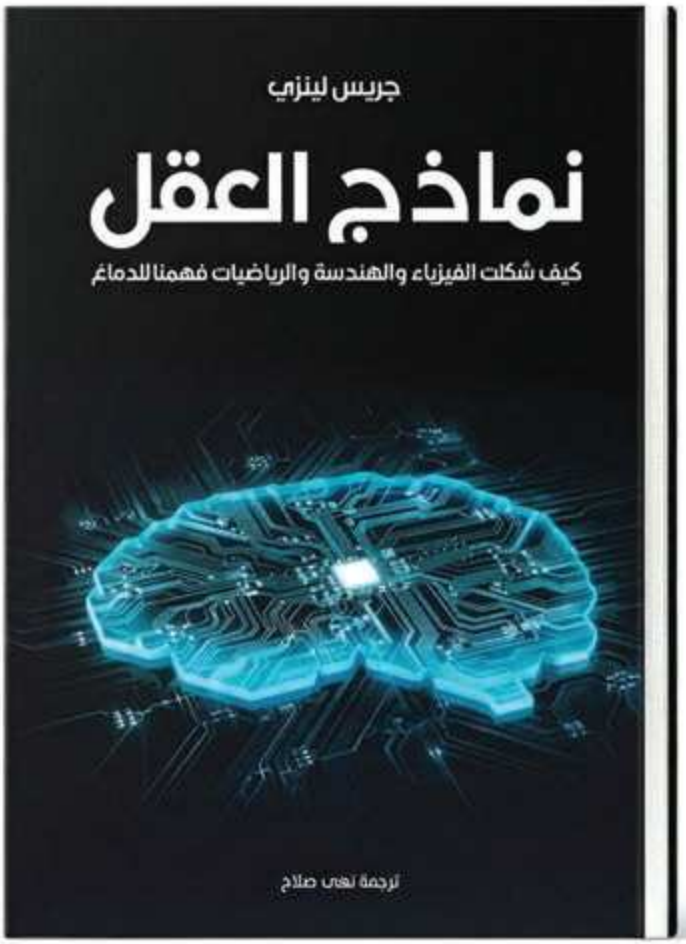




كتاب

نماذج العقل

عدنان الياسري



الكتاب

هو من كتب علم الأعصاب، للكاتبة الأمريكية «غريس ليندسي» وضح الكتاب كيف مكنت نماذج الرياضيات العلماء من فهم العديد من عمليات الدماغ ووصفها، ومن بينها اتخاذ القرارات، وتلقي الرسائل من المستقبلات الحسية وتحويلها إلى استجابات حركية وسلوكية ملائمة، وتخزين المعلومات واسترجاعها. وأثناء ذلك يطلع القارئ على أهم المفاهيم في علوم الأعصاب الحديثة، مسلطا الضوء

على التوترات التي نشأت عن إدخال النماذج الرياضية التي تتسم بالتجريد إلى علم الأحياء المليء بالتفاصيل. نشر الكتاب عام ٢٠١٧.

الكاتب

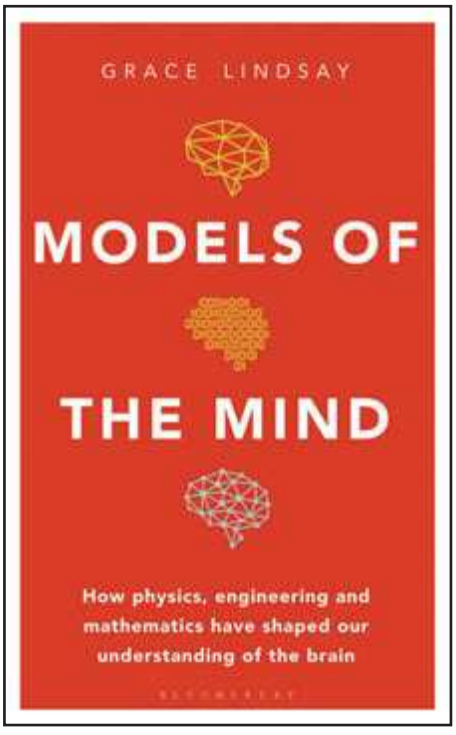
غريس ليندسي أستاذة مساعدة معاصر في علم النفس وعلوم البيانات بجامعة نيويورك.

تحصيلها الدراسي

بعد حصولها على درجة البكالوريوس في علم الأعصاب من جامعة بيتسبرغ، وقضاء عام في مركز بيرنشتاين لعلم الأعصاب الحسابي في فرايبورغ بألمانيا، نالت درجة الدكتوراه عام ٢٠١٨م من مركز علم الأعصاب النظري بجامعة كولومبيا، حيث عملت في مختبر كين ميلر. ركزت أبحاثها على بناء نماذج رياضية لاستكشاف المعالَجة الحسية، وشارَكت في العديد من المؤتمرات الدولية.

عملها

تشغل حاليًا منصب أستاذة مساعدة في علم النفس وعلم البيانات بجامعة نيويورك. يركز عملها على استخدام الشبكات العصبية الاصطناعية لفهم الدماغ (وهو مجال يُشار إليه أحياناً باسم "NeuroAI" أو «الذكاء الاصطناعي العصبي»). أهتمت بشكل خاص بدراسة



كيفية تحكم الانتباه في المعالجة الحسية وتأثيراته عليها. كما أهتمت بمسألة تندرج تحت «ما وراء العلم»، وهي: هل الأدوات التي تستخدم لتفسير النشاط العصبي قادرة فعلا على أداء هذه المهمة؟ ترتبط هذه المسألة ارتباطا وثيقا بمجال «قابلية التفسير في الذكاء الاصطناعي». وبصفتها عضوا في هيئة التدريس بمركز علم البيانات، سعت أيضا إلى تمكين الطلاب من إحداث تأثير ملموس في العالم الواقعي من خلال تطبيق علم البيانات على مشكلات حقيقية. وفي هذا السياق، ركزت بشكل خاص على توظيف

التعلم الآلي في مجالات تتعلق بالتغير المناخي.

كتاباتها

ألفت كتابًا علميًا موجهًا للجمهور العام حول الكيفية والأسباب التي تدفعنا لاستخدام الرياضيات لفهم الدماغ، ويحمل الكتاب عنوان: «نماذج العقل: كيف شكلت الفيزياء والهندسة والرياضيات فهمنا للدماغ»

موضوع الكتاب

لا تنفد أسرار الدماغ ولا تنضب مكنوناته، فهذا العضو –الذي يتألف من ٨٥ مليار خلية عصبية تتصل معا بواسطة ما يزيد على ١٠٠ تريليون مشبك عصبي– لا يتوقف عن إذهالنا بعجائبه وقدراته. ولطالما حاول الباحثون، على سبيل المثال، إيجاد لغة يمكن استخدامها لتوضيح جوهر ما تفعله الخلايا العصبية، وكشف آلية التواصل فيما بينها، وإماطة اللِّثام عن الكيفية التي تنشأ بها أفكارنا وتصوراتنا وأفعالنا بفضل نشاطها.

يقدم هذا الكتاب رؤية علمية متكاملة لكيفية إسهام النماذج المستمدة من الفيزياء والهندسة والرياضيات في بناء فهم معاصر لعمل الدماغ البشري. يعرض الدماغ بوصفه نظاما بالغ التعقيد، تتفاعل فيه مليارات الخلايا العصبية عبر شبكات هائلة من الوصلات، ويبين كيف أتاح التفكير النمذجي للعلماء لغة دقيقة لوصف العمليات العصبية وربطها بالإدراك والسلوك واتخاذ القرار. يضع الكتاب النمذجة الرياضية في قلب علوم الأعصاب الحديثة، ويجعلها أداة تفسيرية لفهم الظواهر الذهنية بوصفها نتاجا لنشاط ديناميكي منظم.

اما ما هي النمذجة العلمية وفهم الدماغ؟ ينطلق الكتاب من فكرة اعتماد علوم الأعصاب على النماذج بوصفها وسائل لصياغة الفرضيات وتحويل الظواهر المعقدة إلى أنماط قابلة للدراسة. يشرح كيف ساعدت النماذج الرياضية في تمثيل الإشارات العصبية، وانتقالها عبر الشبكات، وتحويل النشاط الكهربائي والكيميائي إلى عمليات ذات معنى وظيفي. ويعرض تاريخ تطور هذه النماذج من محاكاة الخلية العصبية المفردة إلى توصيف الشبكات واسعة النطاق، مبرزا دور التجريد في الكشف عن القوانين العامة التي تحكم السلوك العصبي.

هل الدماغ نظام ديناميكي أم لا؟ يقدم الكتاب الدماغ باعتباره نظاما ديناميكيا يتغير باستمرار، ويخضع لقوانين الاحتمال والتغذية الراجعة والتنظيم الذاتي. يوضح كيف استخدمت مفاهيم

الفيزياء، مثل الأنظمة غير الخطية وحالات الاستقرار، في تفسير أنماط النشاط العصبي، وكيف أسهمت الهندسة في تحليل البنى الشبكية وتدفق المعلومات. ويبين أن هذا المنظور الديناميكي يتيح فهما أدق لكيفية تكون الحالات الذهنية وانتقال الدماغ بين أنماط مختلفة من النشاط.

كيف يمكن اتخاذ القرار والمعالجة العصبية؟ يتناول الكتاب نماذج اتخاذ القرار بوصفها مثالا بارزا على تلاقي الرياضيات وعلم الأعصاب. ويشرح كيف تمثل النماذج الاحتمالية آليات المفاضلة بين البدائل، وكيف يترجم الدماغ المعلومات الحسية إلى اختيارات سلوكية عبر تراكم الأدلة وتقييم المخاطر. ويعرض تحليلات دقيقة للكيفية التي تتفاعل بها مناطق دماغية متعددة لإنتاج قرار واحد متماسك.

وماذا عن الإحساس والحركة وتدفق المعلومات؟ يحلل الكتاب مسار المعلومات من المستقبلات الحسية إلى الاستجابات الحركية، مبينا دور النماذج في وصف الترميز العصبي وفك الشيفرة الحسية. يوضح كيف تحول الخلايا العصبية الإشارات الخارجية إلى أنماط داخلية قابلة للمعالجة، ثم تترجم هذه الأنماط إلى أفعال حركية منسقة. ويكشف عن إسهام الهندسة العصبية في فهم التحكم الحركي والتعلم القائم على التغذية الراجعة.

وكيف تكون الذاكرة والتعلم في ضوء النمذجة؟ يعرض الكتاب نماذج الذاكرة بوصفها شبكات قادرة على التخزين والاسترجاع عبر تغير قوة الوصلات العصبية. يبين كيف تفسر الرياضيات آليات التعلم، وكيف تحاكي النماذج الحاسوبية عمليات التكيف العصبي. ويبرز العلاقة بين البنية الشبكية للدماغ وقدرته على الاحتفاظ بالمعلومات وتعديل السلوك مع الخبرة.

باختصار

يتناول هذا الكتاب تأثر التفكير الرياضي –المستمد من الفيزياء والهندسة والإحصاء وعلوم الكمبيوتر– على دراسة الدماغ.

ويروي كل فصل قصة علم الأحياء والرياضيات، والتأثر المتبادل بين العلمين في سياق موضوع مختلف من موضوعات علم الأعصاب. لا يشترط الكتاب أن تكون لدى القارئ معرفة متخصصة في الرياضيات؛ إذ ستُشرح الأفكار التي تستند إليها المعادلات. لن يكتفي الكتاب بعرض نظرية واحدة للدماغ، بل ستحل النماذج المختلفة مسائل مختلفة وتعرض مناهج مكملة للفهم.

اقتباس من الكتاب

وتعد الرياضيات من أشكال الإدراك الممتد. عندما يدون عالم أو عالم رياضيات أو مهندس معادلة ما، فإنه يوسع نطاق قدراته الذهنية. فهو يخفف من حمل معرفته بالعلاقات المعقدة من خلال تحويلها إلى رموز على الورق. بتدوين هذه الرموز، فإنه يترك أثرا لتفكيره للآخرين أو لنفسه في المستقبل. يفترض علماء الإدراك أن العناكب والحيوانات الدقيقة الأخرى تعتمد على الإدراك الممتد ؛لأن أدمغة هذه الكائنات محدودة جدا، بحيث لا يمكنها أداء جميع المهام العقلية المعقدة، اللازمة كي تزدهر في بيئتها. ونحن لسنا بمنأى عن ذلك. فبدون أدوات، مثل الرياضيات كانت قدرتنا على التفكير والتصرف بفاعلية في العالم ستُصبح محدودة بشدة. وتحسن الرياضيات من قدراتنا في بعض الجوانب بالقدر الذي تحسن به اللغة المكتوبة من قدراتنا. إلا أن الرياضيات تتجاوز في تأثيرها الحياة اليومية؛ نظرا لأنها لغة يمكن تطبيقها عمليا. فميكانيكا الرياضيات –ويقصد بها قواعد إعادة ترتيب الرموز والتعويض عنها وفك الأقواس التي تحتوي عليها– ليست اعتباطية. بل هي طريقة منهجية لنقل عملية التفكير إلى الورق أو الآلات. أعيدت صياغة ما قاله عالم الرياضيات الجليل ألفريد وايتهيد –الذي عاش في القرن العشرين، والذي سنتناول أعماله في الفصل الثالث– على النحو التالي: «يتمثل الهدف الأسمى للرياضيات في التخلص من الحاجة إلى التفكير البشري.» وبناء على هذه السمة المفيدة التي تتسم بها الرياضيات، أرست بعض المجالات العلمية –وعلى رأسها الفيزياء– تقاليد تتمحور حول التفكير الكمي الدقيق. استفاد العلماء في هذه المجالات من قوة الرياضيات لقرون...

قيل في الكتاب

قيل: يقدم الكتاب خلاصة معرفية تؤكد أن فهم الدماغ الحديث يقوم على تفاعل خلاق بين علوم متعددة. تظهر النمذجة الرياضية قدرتها على كشف البنى الخفية للعمليات العصبية، وتمنح علوم الأعصاب إطارا نظريا موحدا يربط بين الخلية والفكرة، وبين الإشارة والسلوك. ويرسخ الكتاب مكانة النماذج بوصفها أدوات مركزية في استكشاف العقل الإنساني.

الحلقة الـ ـالـ ـة

مفاهيم قرآنية

الشيـ علي الغزي

كبائر الإثم

تقدّم الحديث في الحلقة السابقة عن مفردة (الإثم) ومعناها، وتصنيف القرآن للإثم إلى تصنيفين، الظاهر والباطن، وقد تقدّم الكلام فيه، والكبائر والصغائر، ويهدف هذا العدد من المجلّة إلى استعراض الروايات الواردة في هذا التصنيف، فنقول:

تعرّض القرآن الكريم إلى كبائر الإثم في ثلاث آيات، وهي:

الآية الأولى: قوله -عزَّ وجلَّ: ﴿إِن تَجتَنِبوا كَبائِرَ ما تُنهَونَ عَنهُ نُكَفِّر عَنكُم سَيِّئَاتِكُم وَنُدخِلكُم مُدخَلًا كَرِيمًا﴾[1]، وهي تدلّ على أنّ تجنّب كبائر الإثم يكون سببًا لغفران صغائر الذنوب.

وفي معتبرة «محمّد بن أبي عمير، قال: سمعت موسى بن جعفر(ع) يقول: لا يُخلّد الله في النار إلّا أهل الكفر والجحود وأهل الضلال والشرك، ومن اجتنب الكبائر من المؤمنين لم يُسأل عن الصغائر، قال الله تبارك وتعالى: ﴿إِن تَجتَنِبوا كَبائِرَ ما تُنهَونَ عَنهُ نُكَفِّر عَنكُم سَيِّئَاتِكُم وَنُدخِلكُم مُدخَلًا كَرِيمًا﴾»[2].

وفي رواية «أحمد بن عمر الحلبيّ، قال سألت أبا عبد(ع) عن قول الله -عزَّ وجلَّ- ﴿إِن تَجتَنِبوا كَبائِرَ ما تُنهَونَ عَنهُ نُكَفِّر عَنكُم سَيِّئَاتِكُم﴾، قال: من اجتنب ما أوعد الله عليه النار إذا كان مؤمنًا كفّر الله عنه سيئاته ويدخله مدخلًا كريمًا، والكبائر السبع الموجبات: قتل النفس الحرام، وعقوق الوالدين، وأكل الربا، والتعرّب بعد الهجرة، وقذف المحصنة، وأكل مال اليتيم، والفرار من الزحف»[3].

١- سورة النساء: آية ٣١.

٢- التوحيد: ص٤٠٧، ح٦.

٣- ثواب الأعمال: ص١٣٠.

وفي معتبرة «الحلبيّ، عن أبي عبد الله(ع): في قول الله –عزَّ وجلَّ–: ﴿إِن تَجتَنبوا كَبائرَ ما تُنهَونَ عَنهُ نُكَفِّر عَنكُم سَيِّئَاتِكُم وَنُدخِلكُم مُدخَلًا كَريمًا﴾ قال: الكبائر، التي أوجب الله –عزَّ وجلَّ– عليها النار»(٤).

وفي معتبرة «ابن محبوب، قال: كتب معي بعض أصحابنا إلى أبي الحسن(ع) يسأله عن الكبائر، كم هي؟ وما هي؟ فكتب: الكبائر: من اجتنب ما وعد الله عليه النار كفّر عنه سيئاته إذا كان مؤمنًا، والسبع الموجبات: قتل النفس الحرام، وعقوق الوالدين، وأكل الربا، والتعرّب بعد الهجرة، وقذف المحصنات، وأكل مال اليتيم، والفرار من الزحف»(٥).

وفي معتبرة «محمّد بن مسلم، عن أبي عبد الله(ع) قال: سمعته يقول: الكبائر سبع: قتل المؤمن متعمدًا، وقذف المحصنة، والفرار من الزحف، والتعرّب بعد الهجرة، وأكل مال اليتيم ظلمًا، وأكل الربا بعد البيّنة، وكلّ ما أوجب الله عليه النار»(٦).

وفي معتبرة «عبيد بن زرارة، قال: سألت أبا عبد الله(ع) عن الكبائر، فقال: هن في كتاب عليّ(ع) سبع: الكفر بالله، وقتل النفس، وعقوق الوالدين، وأكل الربا بعد البيّنة، وأكل مال اليتيم ظلمًا، والفرار من الزحف، والتعرّب بعد الهجرة. قال: فقلت: فهذا أكبر المعاصي؟ قال: نعم. قلت: فأكل درهم من مال اليتيم ظلمًا أكبر أم ترك الصلاة؟ قال: ترك الصلاة، قلت: فما عددت ترك الصلاة في الكبائر؟ فقال: أيّ شئ أوّل ما قلت لك؟ قال قلت: الكفر، قال: فإنّ تارك الصلاة كافر. يعني من غير علّة»(٧).

وفي معتبرة الفضيل عن الإمام الباقر(ع) في حديث طويل: «إنّكم [أي: الشيعة] لأهل هذه الآية ﴿إِن تَجتَنبوا كَبائرَ ما تُنهَونَ عَنهُ نُكَفِّر عَنكُم سَيِّئَاتِكُم وَنُدخِلكُم مُدخَلًا كَريمًا﴾»(٨).

الآية الثانية: قوله: ﴿لِّلَّذينَ آمَنوا وَعَلى رَبِّهِم يَتَوَكَّلونَ، وَالَّذينَ يَجتَنِبونَ كَبائرَ الإِثمِ وَالفَواحِشَ﴾(٩)، وهي تدلّ على أنّ اجتناب كبائر صفة من صفات المؤمنين؛ بقرينة ما قبلها من الآيات.

وفي معتبرة «عبد العظيم بن عبد الله الحسنيّ، قال: حدّثني أبو جعفر –صلوات الله عليه– قال: سمعت أبي يقول: سمعت أبي موسى بن جعفر(ع) يقول: دخل عمرو بن عبيد على أبي عبد الله –عليه السلام– فلمّا سلّم وجلس تلا هذه الآية: ﴿الَّذينَ يَجتَنِبونَ كَبائرَ الإِثمِ

٤– الكافي: ج٢، ص٢٧٦، ح١.
٥– الكافي: ج٢، ص٢٧٦، ح٢.
٦– الكافي: ج٢، ص٢٧٧، ح٣.
٧– الكافي: ج٢، ص٢٧٨، ح٨.
٨– الكافي: ج٢، ص٢٨٨، ح٤٣٤.
٩– سورة الشورى: آية ٣٦–٣٧.

وَالفَواحِشَ﴾ ثمّ أمسك، فقال له أبو عبد الله(ع): ما أسكتك؟ قال: أحبّ أن أعرف الكبائر من كتاب الله –عزَّ وجلَّ– فقال: نعم، يا عمرو، أكبر الكبائر الاشراك بالله، يقول الله: ﴿مَن يُشرِك بالله فَقَد حَرَّمَ اللهُ عَلَيهِ الجَنَّةَ﴾ وبعده الإياس من روح الله؛ لأنّ الله –عزَّ وجلَّ– يقول: ﴿إِنَّهُ لا يَيأَسُ من رَوحِ اللهِ إِلَّا القَومُ الكافِرونَ﴾.، ثمّ الأمن لمكر الله؛ لأنّ الله –عزَّ وجلَّ– يقول: ﴿فَلا يَأمَنُ مَكرَ اللهِ إِلَّا القَومُ الخاسِرونَ﴾، ومنها عقوق الوالدين؛ لأنّ الله سبحانه جعل العاق جبارًا شقيًا، وقتل النفس التي حرّم الله إلّا بالحقّ؛ لأنّ الله –عزَّ وجلَّ– يقول: ﴿فَجَزاؤُهُ جَهَنَّمُ خالِدًا فيها﴾ إلى آخر الآية[10]، وقذف المحصنة؛ لأنّ الله –عزَّ وجلَّ– يقول: ﴿لُعِنوا في الدُّنيا وَالآخِرَةِ وَلَهُم عَذابٌ عَظيمٌ﴾، وأكل مال اليتيم؛ لأنّ الله –عزَّ وجلَّ– يقول: ﴿إِنَّما يَأكُلونَ في بُطونِهِم نارًا وَسَيَصلَونَ سَعيرًا﴾، والفرار من الزحف؛ لأنّ الله –عزَّ وجلَّ– يقول: ﴿وَمَن يُوَلِّهِم يَومَئِذٍ دُبُرَهُ إِلّا مُتَحَرِّفًا لِقِتالٍ أَو مُتَحَيِّزًا إِلى فِئَةٍ فَقَد باءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأواهُ جَهَنَّمُ وَبِئسَ المَصيرُ﴾، وأكل الربا؛ لأنّ الله –عزَّ وجلَّ– يقول: ﴿الَّذينَ يَأكُلونَ الرِّبا لا يَقومونَ إِلّا كَما يَقومُ الَّذي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيطانُ مِنَ المَسِّ﴾[11]، والسحر؛ لأنّ الله –عزَّ وجلَّ–

١٠– وتمامها: ﴿وَمَن يَقتُل مُؤمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزاؤُهُ جَهَنَّمُ خالِدًا فيها وَغَضِبَ اللهُ عَلَيهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذابًا عَظيمًا﴾ سور النساء: آية ٩٣.

١١– وتمامها: ﴿الَّذينَ يَأكُلونَ الرِّبا لا يَقومونَ إِلّا كَما يَقومُ الَّذي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيطانُ مِنَ المَسِّ ذلِكَ بِأَنَّهُم قالوا إِنَّمَا البَيعُ مِثلُ الرِّبا وَأَحَلَّ اللهُ البَيعَ وَحَرَّمَ الرِّبا فَمَن



يقول: ﴿وَلَقَد عَلِموا لَمَنِ اشتَراهُ ما لَهُ في الآخِرَةِ مِن خَلاقٍ﴾، والزنا؛ لأنّ الله -عزَّ وجلَّ- يقول: ﴿وَمَن يَفعَل ذلكَ يَلقَ أَثامًا، يُضاعَف لَهُ العَذابُ يَومَ القِيامَةِ وَيَخلُد فيهِ مُهانًا﴾[١٢]، واليمين الغموس الفاجرة[١٣]؛ لأنّ الله -عزَّ وجلَّ- يقول: ﴿إِنَّ الَّذينَ يَشتَرونَ بِعَهدِ اللهِ وَأَيمانِهِم ثَمَنًا قَليلًا أُولئِكَ لا خَلاقَ لَهُم في الآخِرَةِ﴾[١٤]،

جاءَهُ مَوعِظَةٌ مِن رَبِّهِ فَانتَهى فَلَهُ ما سَلَفَ وَأَمرُهُ إِلَى اللهِ وَمَن عادَ فَأُولئِكَ أَصحابُ النّارِ هُم فيها خالِدونَ﴾ سورة البقرة: آية ٢٧٥.

١٢- وتكملتها في الآية اللاحقة ﴿يُضاعَف لَهُ العَذابُ يَومَ القِيامَةِ وَيَخلُد فيهِ مُهانًا﴾ سورة الفرقان: آية ٦٩.

١٣- في المرسل عن أبي عبد الله -عليه السلام-: «قال: اليمين الغموس التي توجب النار، الرجل يحلف على حقّ امرئ مسلم على حبس ماله». المحاسن: ج١، ص١١٩، ح١٣٢. وسمّيت غموسًا؛ لأنّها تغمس صاحبها بالإثم.

١٤- وتمامها: ﴿إِنَّ الَّذينَ يَشتَرونَ بِعَهدِ اللهِ وَأَيمانِهِم ثَمَنًا قَليلًا أُولئِكَ لا خَلاقَ لَهُم في الآخِرَةِ وَلا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ وَلا يَنظُرُ إِلَيهِم يَومَ القِيامَةِ وَلا يُزَكّيهِم وَلَهُم عَذابٌ أَليمٌ﴾ سورة آل عمران: آية ٧٧.

والغلول[١٥]؛ لأنّ الله -عزَّ وجلَّ- يقول: ﴿وَمَن يَغلُل يَأتِ بِما غَلَّ يَومَ القِيامَةِ﴾، ومنع الزكاة المفروضة؛ لأنّ الله -عزَّ وجلَّ- يقول: ﴿فَتُكوى بِها جِباهُهُم وَجُنوبُهُم وَظُهورُهُم﴾، وشهادة الزور وكتمان الشهادة؛ لأنّ الله -عزَّ وجلَّ- يقول: ﴿وَمَن يَكتُمها فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلبُهُ﴾، وشرب الخمر؛ لأنّ الله -عزَّ وجلَّ- نهى عنها كما نهى عن عبادة الأوثان، وترك الصلاة متعمّدًا أو شيئًا ممّا فرض الله؛

١٥- الغلول: الخيانة في المغنم والسرقة من الغنيمة قبل القسمة، ففي رواية علقمة عن الإمام الصادق -عليه السلام- في حديث طويل: «ألم ينسبوا نبيّنا محمّدًا -صلى الله عليه وآله- إلى أنّه شاعر مجنون؟ ألم ينسبوه إلى أنّه هوى امرأة زيد بن حارثة فلم يزل بها حتّى استخلصها لنفسه؟ ألم ينسبوه يوم بدر إلى أنّه أخذ لنفسه من المغنم قطيفة حمراء؟ حتّى أظهره الله -عزَّ وجلَّ- على القطيفة وبرّأ نبيّه -صلى الله عليه وآله- من الخيانة، وأنزل بذلك في كتابه: ﴿وَما كانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ وَمَن يَغلُل يَأتِ بِما غَلَّ يَومَ القِيامَةِ﴾». أمالي الصدوق: ص١٦٤.



لأنّ رسول الله(ص) قال: من ترك الصلاة متعمّدًا فقد برئ من ذمّة الله وذمّة رسول الله(ص)، ونقض العهد وقطيعة الرحم؛ لأنّ الله -عزَّ وجلَّ- يقول: ﴿أُولئِكَ لَهُمُ اللَّعنَةُ وَلَهُم سوءُ الدّارِ﴾(١٦). قال: فخرج عمرو وله صراخ من بكائه وهو يقول: هلك من قال برأيه ونازعكم في الفضل والعلم»(١٧).

وهنا عدّة أمور متعلِّقة بهذه الأخبار ينبغي الوقوف عندها:

ضابط الكبائر

الذي يظهر من الآية المباركة كون الكبائر هي مجموعة من المحرَّمات المنهي عنها؛ لتقييدها بقوله -عزَّ وجلَّ- ﴿إِن تَجتَنِبوا كَبائِرَ ما تُنهَونَ عَنهُ﴾، ولكنّ الضابط والوصف العامّ الذي جاء في كلام الإمام(ع) لا يختصّ بذلك، أعني: قوله في رواية الحلبيّ «ما أوعد الله عليه النار» وفي معتبرة ابن مسلم «كلّ ما أوجب الله عليه النار»؛ إذ قد يوجب -عزَّ وجلَّ- النار ويتوعّد بها لمن ترك واجبًا.

ويندفع ذلك ظاهرًا بكون المقصود من الضابط هو المحرَّمات التي أوجب الله عليها النار، ولا يشمل ترك الواجب؛ ويشهد لذلك أنّ الإمام(ع) أدخل في معتبرة عبيد بن زرارة ترك الصلاة في الكبائر باعتباره مصداقًا للكفر، وليس بعنوانه، وفي معتبرة الحسنيّ أدخله وغيره من ترك الفرائض باعتبار نهي النبي(ص) فاحتاج في إدخاله فيها إلى تأمين النهي عنها.

عدد الكبائر

اختلفت النصوص هنا وغيرها في تعداد الكبائر، فمنها من جعلتها خمسة، ومنها سبعة، ومنها أكثر من ذلك، حتّى قاربت معتبرة الحسنيّ العشرين، ويمكن توجيه هذا الاختلاف بعدم كون الإمام(ع) في مقام الحصر والتحديد لها، بل ذكر أمثلة لها مع الاقتصار على أبرزها، خصوصًا وأنّ بعضها صرّح بذكر ضابطة الكبيرة بعد التعداد ممّا يدلّ بوضوح على عدم كونها في مقام الحصر، أو الاكتفاء بما كان مذكورًا منها في كتاب عليّ(ع) كما هو صريح بعضها، أو أنّها لم تذكر بعض الكبائر لخروجها عن موضوعها الذي كان منصبًّا -كما في بعضها- على الكبائر التي تحرم على المؤمن، فلا معنى لذكر الشرك بالله معها؛ لفرض كونه مؤمنًا بالله.

نعم، يظهر من معتبرة الحسنيّ أنّها كانت في مقام الاستقصاء؛ ولذا ذكرت

١٦- وتمامها: ﴿وَالَّذينَ يَنقُضونَ عَهدَ اللهِ مِن بَعدِ ميثاقِهِ وَيَقطَعونَ ما أَمَرَ اللهُ بِهِ أَن يوصَلَ وَيُفسِدونَ في الأَرضِ أُولئِكَ لَهُمُ اللَّعنَةُ وَلَهُم سوءُ الدّارِ﴾ سورة الرعد: آية ٢٥.

١٧- الكافي: ج٢، ص٢٨٥-٢٨٧، ح٢٤؛ وعيون أخبار الرضا عليه السلام: ج٢، ص٢٥٧، ح٣٣؛ علل الشرائع: ج٢، ص٣٩١، ح١.

أكبر عدد منها، لكنّها تواجه بعض الأسئلة:

منها: أنّه ممّا تضافرت به الأخبار كون التعرّب بعد الهجرة من الكبائر، ولكنّ المعتبرة المذكورة لم تنصّ عليه؟

والظاهر أنّ الوجه فيه هو ما روي في معتبرة أبي بصير عن أبي عبد الله(ع) «الكبائر سبعة: منها قتل النفس متعمّدًا، والشرك بالله العظيم، وقذف المحصنة، وأكل الربا بعد البيّنة، والفرار من الزحف، والتعرّب بعد الهجرة، وعقوق الوالدين، وأكل مال اليتيم ظلمًا، قال: والتعرّب والشرك واحد»[18]، فلم تذكره معتبرة الحسنيّ اكتفاءً بذكر الشرك بالله عزّ وجلّ.

ومنها ظهر -أيضًا- الوجه في عدّها من الكبائر بعد عدم ورود وعد بنار عليها بعنوانها.

منها: أنّه -عليه السلام- لم يذكر آية تدلّ على كون عقوق الوالدين وعد الله عليها النار، وإنّما اكتفى بقوله: «لأنّ الله سبحانه جعل العاق جبارًا شقيًا» ولعلّ الوجه في أنّ عقوق الوالدين ورد فيه النهي القرآنيّ الصريح، ولكن من دون وعد بالنار، وذلك في قوله -عزَّ وجلَّ- ﴿فَلا تَقُل لَهُما أُفٍّ وَلا تَنهَرهُما﴾[19]، لكنّه وصف العاق بكون شقيًا فيما ذكره من حال النبيّ عيسى(ع) في قوله -عزَّ وجلَّ- ﴿وَبَرًّا بِوالِدَتي وَلَم يَجعَلني جَبّارًا شَقِيًّا﴾[20]، الذي بيّنه الإمام(ع) هنا بالعقوق بقرينة مجيئه بعد البرّ، وقد وعد الله -عزَّ وجلَّ- الأشقياء النار في قوله ﴿فَأَمَّا الَّذينَ شَقوا فَفِي النّارِ لَهُم فيها زَفيرٌ وَشَهيقٌ﴾[21].

منها: شهادة الزور؛ فإنّها ورد النهي الصريح عنها في القرآن الكريم في قوله -عزَّ وجلَّ- ﴿ذلكَ وَمَن يُعَظِّم حُرُماتِ الله فَهُوَ خَيرٌ لَهُ عِندَ رَبِّه وَأُحِلَّت لَكُمُ الأَنعامُ إِلّا ما يُتلى عَلَيكُم فَاجتَنِبُوا الرِّجسَ مِنَ الأَوثانِ وَاجتَنِبوا قَولَ الزّورِ﴾[22]، لكن من دون تصريح بالوعيد عليها بالنار.

اللهم إلّا أن يُقال: يظهر من الآية القرآنيّة ذكرها كمصداق لحرمات الله، ومقرونةً بالاجتناب عن عبادة الأوثان يقتضي كونها في وزانها ممّا وعد فاعلها النار، ويأتي نظير ذلك في كلامه -عليه السلام- اللاحق في هذه المعتبرة، فليُلحظ.

نعم، فيما رواه الصدوق في كتابه

١٨- الكافي: ج٢، ص٢٨١، ح١٤.

١٩- سورة الإسراء: آية ٢٣.

٢٠- سورة مريم: آية ٣٢.

٢١- سورة هود: آية ١٠٦.

٢٢- سورة الحج: آية ٣.

العيون يظهر منه استدلال الإمام(ع) على كون شهادة الزور من الكبائر بقوله -عزَّ وجلَّ-: ﴿وَالَّذينَ لا يَشهَدونَ الزّورَ وَإِذا مَرّوا بِاللَّغوِ مَرّوا كِرامًا﴾[٢٣].

وهذه الزيادة -مع خلوّ نسخته منها في كتاب العلل وعدم وجودها في الكافي كما نقلناها عنه هنا- يبدو بُعدها عن المطلوب؛ لأنّ الآية المذكورة واردة في وصف عباد الرحمن، ومجرّد ورودها كذلك لا يقتضي كونها كبيرة، اللهم إلّا أن يُقال بنفس ما تقدّم من أنّه تعالى ذكرها صفةً لهم في عداد ما يجتنبونه من الكبائر، كقتل النفس والزنا.

ومنها: كتمان الشهادة، وقد استدلّ -عليه السلام- على كونها من الكبائر بقوله تعالى: ﴿وَمَن يَكتُمها فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلبُهُ﴾ فإنّه ورد تعليلًا للنهي عن كتمانها، قال -عزَّ وجلَّ-: ﴿وَلا تَكتُمُوا الشَّهادَةَ وَمَن يَكتُمها فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلبُهُ والله بِما تَعمَلونَ عَليمٌ﴾[٢٤].

ولم يتّضح الوجه في إفادة هذه الآية لكونها من الكبائر؛ لعدم الوعيد بالنار عليها، اللهم إلّا أن يُقال: إنّ الإمام(ع) في هذه الرواية لم يكن بصدد ذكر ما أوعد الله عليه النار، وإنّما كان مطلوب السائل أن يدلل على كلّ كبيرة من القرآن بحيث يُبيّن النهي الوارد عنها فيه، والآية المذكورة وما سبقها كانت كافيةً في بيان النهي القرآنيّ المطلوب للسائل، ولذا اكتفى بما سمعه من الإمام(ع) ولم يطالبه بغيره.

منها: شرب الخمر، ولم تذكر المعتبرة آية في شأنه، بل اكتفت بالتعليل بأنّ الله «نهى عنها كما نهى عن عبادة الأوثان».

منها: ترك الواجبات، كالصلاة المفروضة، ولم تذكر المعتبرة آية في شأنها، بل اكتفت تعليل حرمة الصلاة بقول النبيّ(ص) من كون تاركها قد برئت الذمّة منه.

منها: نقض العهد، ولم تذكر المعتبرة آية من القرآن في شأنه، ولعلّها سقطت؛ لوضوح ذكره في القرآن، قال تعالى: ﴿وَالَّذينَ يَنقُضونَ عَهدَ الله من بَعدِ ميثاقه وَيَقطَعونَ ما أَمَرَ اللهُ به أَن يوصَلَ وَيُفسِدونَ في الأَرض أُولئِكَ لَهُمُ اللَّعنَةُ وَلَهُم سوءُ الدّارِ﴾[٢٥].

وهناك تفاصيل كثيرة في شأن الكبائر، لكن الدخول فيها يُخرج البحث عن ساحة التفسير ويدخله في تفاصيل فقهيّة وأخلاقيّة.

هذا، وسيأتي الحديث عن الآية الثالثة وتفاصيلها في العدد اللاحق إن شاء الله تعالى.

٢٣- سورة الفرقان: آية ٧٢.

٢٤- سورة البقرة: آية ٢٨٣.

٢٥- سورة الرعد: آية ٢٥.

أسـ لة يجيـ عنهـا بعـ أساتـ ة ا ـوزة العلميـ في النجـ ا شـر

ملحوظة: الأجوبة وفق فتاوى المرجع الديني الأعلى

السيد علي الحسيني السيستاني (دام ظله)

السـ ا :

هل العقيقة واجبة؟ وما هي أحكامها وشروطها؟

ا واب:

١- تستحب العقيقة عن المولود ذكرا كان أو أنثى، وأن تكون في اليوم السابع، وان تأخر لعذر أو لغيرعذرلم يسقط، بل لولم يعق عن الصبي حتى بلغ وكبرعق عن نفسه، بل لو لم يعق عن نفسه في حياته فلا بأس أن يعق عنه وبعد موته.

٢- ويعتبر أن تكون من أحد الانعام الثلاثة: الغنم، ضأنا كان أو معزا، والبقر والابل. ولا يجزي عنها التصدق بثمنها نعم يجزي عنها الاضحية.

٣- ويستحب أن تكون العقيقة سمينة، وفي بعض الاخبار:(أن خيرها أسمنها).

قيل:ويستحب أن تجتمع فيها شروط الأ ضحية من كونها سليمة من العيوب وعدم كون سنها أقل من خمس سنين كاملة في الابل وأقل من سنتين في البقروالمعز، وأقل من سبعة أشهر في الضان، ولكن لم يثبت ذلك، وفي بعض الاخبار: (انما هي شاة لحم ليست بمنزلة الأضحية يجزئ فيها كل شيء).

٤- ينبغي تقطيع العقيقة من غيركسرعظامها.

٥- يستحب أن تخص القابلة منها بالربع وأن تكون حصتها



مشتملة على الرجل والورك، ويجوز تفريق العقيقة لحما ومطبوخا. كما يجوز أن تطبخ ويدعى عليها جماعة من المؤمنين، والافضل أن يكون عددهم عشرة فما زاد يأكلون منها ويدعون للولد.

٦- يكره أن ياكل منها الاب أو أحد ممن يعوله ولا سيما الام بل الاحوط استحبابا لها الترك.

السـ ا :

أنا صيدلاني قمت بتخميس راتبي وكذلك صيدليتي (رأس المال والأثاث) وكذلك أثاث العائلة والملابس وسائر الحاجات المنزليّة، إلّا أنّني وبحكم عدم امتلاكي بيت سكن لعائلتي كوني أسكن في غرفة ضيّقة مع أهلي قمت بشراء قطعة أرض ولم أقم ببنائها لحدّ الآن، ثمّ قمت بشراء قطعة أرض ثانية وقطعة أرض ثالثة بالإضافة إلى قطعة أرض زراعيّة صغيرة جدّاً، وكانت النيّة من شراء هذه الأراضي هي القيام ببيعها وبأموال الأراضي المباعة يتمّ شراء بيت مناسب للعائلة لغرض السكن وحصل الشراء للأراضي طبعاً بسنوات مختلفة، فهل يترتّب على هذه الأراضي جميعها الخمس أم بعضها أم لا يترتّب عليها خمس كونها كانت ادّخاراً لشراء البيت؟ وإذا ترتّب عليها الخمس فهل يتمّ تخميسها بالسعر القديم الذي تمّ شراؤها به أم السعر الحالي هذه الأيّام؟

ا واب:

إذا كان شراء الأراضي بمالٍ مخمّس فلا شيء عليها، وأمّا إذا كان شراؤها بربح السنة فإن كانت الأرض مواتاً وجب تخميس ثمن الشراء، وإن كانت محياةً وجب تخميسها وفق قيمتها الفعليّة.

علماً أنّه إذا بيعت الأرض بأزيد من ثمن التخميس كانت الزيادة من أرباح سنة البيع، فإن لم تُستعمل في المؤونة حتّى جاء رأس السنة وجب تخميسها.

السـ ا :

يستغرق بناء المنزل في عصرنا عدّة سنوات، فهل يجب الخمس فيما يشتريه الإنسان من أدوات للبناء أم أنّه يعدّ من المؤونة السنوية التي لا خمس فيها؟

ا واب:

إن كنت ملزماً حسب العرف الذي تعيش فيه بتوفير بيت لسكن العائلة ـ ولو بالتدريج ـ بحيث إذا لم توفّره كذلك اعتُبرت مقصّراً في حقّ العائلة ومتهاوناً بمستقبلهم ممّا ينافي ذلك شأنك فلا يجب الخمس.

السـ ا :

ما حكم لبس العدسات الملوّنة داخل العينين والخروج بها خارج المنزل؟

ا واب:

إن عدّت زينة عرفاً فلا يجوز.

تمور الكفيل
ALKAFEEL









جودة تستحق ثقتك







النجف الأشرف

